السنة التاسعة العدد ١١ ١ حزيران سنة ١٩٠٦

المشرق

البراكين والزلازل

نظر للاب موريس كولنجت مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبيّ الفرنسويّ

قد نجز والحمد لله طور تلك النكبات الهائلة التي دهمت مدَّة شهرين بلادًا عامرة فقلبتها ظهرًا لبطن وكادت تُخني عليها فلم تدع ولم تذر. وهاءنذا بسماء نابولي المشهور بصفاء اديمهِ قد انقشع عنهُ سواد حُمم الوازوف التي عكَّرت جوَّهُ فعادت زرقتهُ تنعكس في مرآة خليجهِ بينما ترى خضرة حدائقهِ الواقعة في جوار البركان اخذت تنفض عنها كساء الرماد والحصى الذي كاد يسجّيها بكفنٍ مؤبد . وكذلك في عالم آخر تقاطر المهندسون الامركيُّون الى حاضرتهم المتدمّرة سان فرنسيسكو فشمّروا عن ساعد الجدّ بنشاطٍ لا يعرفهُ غير الامركيين فجعلوا يزيلون الانقاض ويخطُّون الازقَّة ويرسمون صور الساحات والابنية الشاهقة ذات السبع الطبقات وهم قد آلوا على انفسهم بان يعيدوا المدينة الخربة الى حالها بزمن قريب لا بل يزيدوها حسنًا وجمالًا فتضحي سيّدة الحواضر وملكة المُدن المستحدثة. ومن ثم حان لنا ان نُلقي بنظرنا الى الأَحداث التي جرت ونتروَّى في علاقاتها ونستنتج عنها بعض النتائج المفيدة

في اوائل شهر آذار شُعر بحركات زلزاليَّة عنيفة في بحر الانتيل ثم انتقلت هذه الاهتزازات الى جبال حملايا التي اصابتها في العام المنصرم نكبات مؤلمة . وفي ١٧ منهُ تزعزعت اركان جزيرة فرموزة فذهب فيها الزلزال بعدد لا يُحصى من الضحايا البشريَّة . وفي الوقت عينهِ اخذت جزيرة اوستيكا آخر الجزائر الايوليَّة الواقعة بين ايطالية وصقليَّة على مسافة ٥٥ كيلومترًا من بَلَرمة شمالًا تهتزّ وترتجّ ودام ذلك ايامًا واسابيع متوالية حتى اضطُرَّ السكَّان الى الفرار منها لينجوا بنفوسهم

ولمّا كان اليوم الثامن والعشرون من آذار باشر بركان الوازوف بالطغيان ثمّ لم تزل ظاهرهُ تتفاقم امرًا وتستفحل شرًّا الى ان تفتّحت في اعطاف البركان فوّهات جديدة فارت منها الموادّ البركانيَّة في ٥ و٦ نيسان. وكانت هذه السيول الحميَّة تجري بسرعة عجيبة تبلغ مئة متر في الساعة وهي تجرف امامها كلّ ما لقيتهُ في طريقها من السدود والحواجز بل طغت على قرية «طرّه نتزياتا» فطمست معالمها وافترست اهلها ثمّ استأنفت الحملة على غيرها فتهدَّدتها «بوسكو» تري كازه وطرّه دال غريكو وبياي، فكادت تجدّد فيها الويلات التي لحقتها في سالف الاعصار

وكانت الانفجارات تتوالى فيُسمع لدويّها اصوات مزعجة تُلقي الرُّعب في القلوب ومع كلّ انفجار كانت تخرج من فوهة البركان العليا دائرة واسعة من اللهيب تتصاعد الى طبقات الجوّ فتتسع على شبه المظلّة وتتساقط على الارض وكان في هذه الحمم صخور مصحورة ضخمة تدوي في انفجارها كطلقات المدافع ثم تنقضّ على حوالي البركان الى مسافات بعيدة فينخلع لرآها قلب السكان فيهربون من وجهها في كلّ اوب

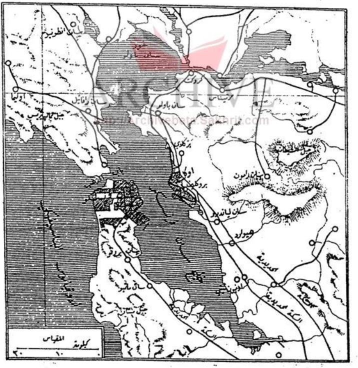
ثمّ جعلت هذه المظاهر المخيفة تسكن شيئًا فشيئًا لكنّ اعتكار الجوّ بالرماد والحصى الناعم بقي اياماً متتابعة. وكان الظلام في بعض الاحيان يزيد على دجى الليل حلكة وسوادًا حتى انّ انوار الغاز الساطعة كانت لا تنفذ في ظلمتها فيظهر نورها عن كثب كنور شمعة ضعيفة النور. اما الحضيض فكان يكتسي تارةً بثوبٍ ابيض وتارة بغشاء اكمد ضارب الى الحمرة فيخيل للناظر انّ ثمّة ثلجًا او رملًا كالصحراء. وبقيت هذه الحالة المشومة اياماً الى ان تمكّنت الشمس من خرق هذه الظلمات المدلهمّة باشعّتها فلاحت الارض بمشهد غريب يفعم الروح كآبةً وحزنًا. وناهيك عمّا جرى وقتئذٍ من عبرات الدموع امام تمثال العذراء او عند ذخائر القديس ينواريوس شفيع نابولي العظيم اسفًا على ما ذهب من النفوس والنفائس

*

وما مرّ على ذلك ثلاثة ايام بينما كانت آثار رماد الوازوف لا تزال في اطراف الافق اذ دوّنت كلّ مقاييس الزلازل في انحاء شتّى حركاتٍ شديدة وما لبثت الانباء البرقيَّة بان اخبرت العالم بخراب سان فرنسسكو فببضع ساعات تلك ملكة الاوقيانوس الهادئ نزلت عن منصّة عزّها فاضحت بعد رغدها ودلالها مدينة بائسة حلّت عليها

نوائب الدهر بل قل انَّ يمين العليّ مسَّتها باحدى الضربات التي لا يسمح بها الله ألا لخير عباده ليعلمهم ان نصيب البشر تحت امرهِ وقدرتهِ

وما ادراك ما سان فرنسسكو؟ فانَّنا لو عدنا بالنظر الى الاجيال التي تقدَّمتنا لا نكاد نجد لها تاريخًا قبل الزمن الاخير. وهذه المدينة من حواضر بلاد كاليفورنيا وهي واقعة في غربي اميركة الوسطى. قيل انَّ اوَّل من دخل تلك الانحاء راهب من رهبانيَّة القديس فرنسيس يُدعى مرقس دي نيس عرفها سنة ١٥٣٩ فاشار الى بعض المستعمرين بان يأتوها ويتَّخذوها لهم كسكنى وهو الذي دعا تلك الامكنة باسم ابيهِ ومنشئ



خارطة سان فرنسسكو وضواحيها

رهبانيّته القديس فرنسيس الاسيزيّ . الّا انّ اولئك الذين لبّوا دعوة الراهب لم يجدوا فيها ما أملوهُ من الامن ومن مرافق الحياة فلم يفتأوا ان يهجروها فبقي الرهبان الذين حاولوا التبشير بين البرابرة الوطنيين ثم ماتوا شهداء ايمانهم

وبقيت تلك الجهات مهجورة لم يأوِ اليها الّا بعض الصيّادين مع اهلهم وكان عددهم لا يتجاوز ٤٥٠ نسماً وكانوا يدعون مقامهم « يربا بوينا » اي الخور الحسن لأن موقعهُ كان في مدخل خورٍ عميق متّسع تحترس فيه القوارب والسُفن من انواء البحر . وكانت تلك الثغور معدودة كمنازل مستوحشة وعرة المسالك لا خير فيها وكان على سواحل البحر جبال عالية تبلغ قنّة بعض رؤوسها ٢٠٠٠ متر . غير انّهُ وراء تلك السلسلة الساحليّة (Coast Range) كانت تمتدّ بقعةٌ طيبة كثيرة المياه حسنة التربة طولها ١٢٠٠ كيلومتر وعرضها ١٥٠ كيلومترًا . لكن تلك البقعة كان يحدّها شرقًا صفٌّ آخر من الجبال الشاهقة التي تنطح السُحب بعلوها البالغ من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ متر وهي متوّجة باكليل من الثلوج الابديّة وكانت تلك الاطواد العالية تقوم في وجه كلّ من يريد السلوك فيها قادماً من البلاد الداخليّة

هذه كانت حالة سان فرنسيسكو سنة ١٨٤٧ اذ مرَّ فيها سائح افرنسيّ من حرس الملك كرلوس العاشر اسمهُ القبطان سوتّر فضرب في المكان اطنابهُ وانشأ لهُ مبيتاً واتّخذ طاحوناً ثم معملاً لنشر الخشب . ولمّا استقلّ النفقات اللازمة لفتح قناة للمياه فتح لها مسيلاً طبيعياً فخرقتهُ المياه شيئاً فشيئاً حتى تنفذ في بواطنه واذا بشذور من التبر لاحت للعيان فعرف انّ هناك معدناً من الذهب . فاراد سوتّر تمدينهُ سرًّا الّا انّ السرّ انتشر بسرعة البرق فتوارد الهائمون الى الاصفر الرنّان زرافات احتلّوا تلك الربوع وبعد قليل نشأت في الوادي مدينةٌ جديدةٌ كلّها من سقائف الخشب اوى اليها المعدّنون وكان عددهم يزيد يوماً فيوماً وهم يتراكضون الى اصطياد الذهب ولا ركض السوابق في الميدان . وكان في جملتهم كثيرون من غوغاء الناس المتسرّعين الى الشرّ ولم يكن ثمّة هيئة حاكمة تردّ تعدّيهم فجرى في تلك السنين الاولى من المآثم والفظائع ما يسوّد وجه التمدّن وكان القوم يتقلّبون على الذهب الّا انّ المآكل واسباب المعاش كانت قليلة جداً حتى ان ثمن البيضة بلغ ١٢٥ فرنكاً وبيعت علبة السردين بمائتي فرنك

وبقيت الامور على هذه الحال السيّئة الى السنة ١٨٥٠ حيث دخلت بلاد

كاليفورنية في سلك الولايات المتحدة. فاخذ النظام حقَّهُ قليلًا قليلًا وتشكَّلت في المدينة حكومة شرعيَّة واستُبدلت بعد قليل سقائف الخشب بمدينة عامرة ذات منظر جميل وتجارة رابحة بُنيت بنحيت الحجارة وجروز الحديد . ولمَّا كانت التربة جيّدة والهواء صالحًا راجت سوق الفلاحة واخذ النبات زخاريَّهُ . امَّا جون سان فرنسيسكو فاصبح مرفأً مقصودًا تُمخر اليه سُفن العالم كلِه

وبعد عشر سنوات صارت مدينة سان فرنسيسكو بين أُمهات الحواضر بثروتها وضروب خيراتها امَّا الذهب فكان المعدّنون قد اصدروا منهُ في تلك المدة ما يساوي ثلاثة مليارات فرنك دون ان ينفد معدنهُ اما معدَّل ما كان يستخرج منهُ كلَّ سنة فكان يبلغ من ٢٥٠ الى ٢٦٠ مليونًا (١ . وكان عدد السكّان ناهز ٣٥٢٠٠٠

ولم تكن سان فرنسكو مدينةً للمصارف والمتاجرات فقط بل صارت ايضًا مركزًا للآداب والفنون الجميلة . فكان بعض اهل الثروة من اصحاب المليارات قد صرفوا المبالغ الخطيرة ليحصلوا على طُرف مهال المصورين كروبنس ورمبرنتُو وانشأوا لهم متاحف تُعارض في نفاستها دور العاديَّات التي تُرى في حواضر اوربَّة . وكان للموسيقى في سان فرنسكو شأن عظيم . وممَّا يدلُّ على تأنُّق اهلها أنَّهم كانوا يرسلون اولادهم الى مدارس باريس ليتخرَّجوا فيها على الاداب . ومجمل القول انَّ هذه المدينة كانت تستحقُ بأن تُدعى يتيمة الاوقيانوس الباسيفيكي

*

اوَّاه قد اخنى الدهر على كل تلك العجائب وبظرف نحو نصف دقيقة فقط تحوَّلت تلك جنَّة عدن الى اركام من الردم والخراب . فقد كفت بعض اهتزازات لتقويض تلك القصور المشيدة برخام كَرَارا وتلك المنتزهات والملاعب والنوادي الفخيمة . وفي الوقت عينهِ طغت مياه البحر على الارصفة فدمَّرتها ودكَّتها دكًّا وكان الحريق يعمل في جهات المدينة فيخرب ما استبقاهُ الزلزال والماء . فلمَّا هدأت ثوائر الطبيعة وجدوا انهُ لم يبق من تلك العاصمة الَّا ثلثها اعني ضواحي البلدة ودساكرها . هذا ولا حاجة الى تكرار ذكر المشاهد الفاجعة والمناظر المؤثّرة التي وليت نكبة الزلازل فانَّ الجرائد قد

١) لكنَّ هذه المعادن قلَّت بعد ذلك فكان لا يزيد محصولها في السنين الاخيرة على ٦٠ مليونًا من الفرنكات

اتسعت في وصف اهلها المنكودي الحظ الذي خرجوا الى الساحات والجنائن يهيمون في وجههم ولا يعلمون ما يصنعون بينما النار كانت تلتهم ديارهم وكان الجوع قد اضنى كثيرين فخارت قواهم دون ان يجدوا ما يسدّون بهِ رمقهم . وكان الاهلون يتوجّهون افواجاً الى أوكلند والجهات الداخليّة لا يفكرون الّا بامن حياتهم . امّا الحكومة فانّها تفانت في مساعدة البائسين وكان الشُرَط يسعون في توقيف النار وفي صيانة الامتعة والاموال لئلّا ينهبها ذوو المطامع ولولا هذه المساعي الطيّبة لكانت الخسائر لا تقدَّر . ومع كل ذلك فانّ المختنين يظنّون انّ ما ذهب بهذه النكبات لا يقلّ عن ٣٠٠ مليون دولار لم يضمَّن منها الّا ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠ !

وكان مركز الزلزال في وسط سان فرنسسكو لكنّهُ لم ينحصر فيها وقد انتشر منها فادرك مدناً اخرى على مسافات قريبة منها كسنتا روزا وفرت براغ . وفي ١٩ من الشهر احسّ بالزلزال اهل فولسوم في بلاد كولورادو . وفي ١٩ و ٢٠ منهُ شعر بالاهتزازات سكّان هونولولو في جزر الباسيفيك . وفي ٢٠ منهُ بُلي بها اهل كاتلند في بلاد اوهيو . وفي ٢١ عمّ الزلزال ايطالية والنجر . وفي ٢٢ شعر بهِ اهل انسبروك في بلاد تيرول وثارت براكين دِسمال سوامپ في فرجينية . ثمّ تكرَّرت الحركات في ٢٣ في سان فرنسسكو وجازت الى غران پاس في مقاطعة اوريغون وتقطَّعت الاسلاك البحريّة في والنغتون . وفي ٢٥ انفتحت في البرازيل فوهة بركان جديد . وفي ٢٧ و ٢٨ مادت جزيرة صقلية بقوّة هزات شديدة . وبعد ذلك عادت سيّارتنا الى ثبوتها وجنحت الى الهدوء والسكون

وكان العلماء لاسيّما المسيو لاكروا استغنموا فرصة فاجعة المرتينيك ليدرسوا المظاهر المهولة التي جرت حينئذٍ فاستخلصوا من درسها عدّة قضايا علميّة مفيدة جعلوها كقوانين راهنة لسير البراكين وثورانها . وتسارع الطبيعيّون هذه المرّة ايضاً لمراقبة الظواهر البركانيّة والزلازل رجاء ان يستنتجوا منها معلوماتٍ جديدة فلم يجدوا لكنّهم أيّدوا الملحوظات السابقة وزادوا قوانينها اثباتاً وعلى الاخص بيّنوا انهُ لا علاقة بين المظاهر البركانيّة والزلازل الارضيّة . فانّ ثوران جبل الوازوف واهتزازات جزيرة اوستيكا المسبّبة عن البركان بقيت منحصرةً في جهات الحادث ولم تدلّ عليها الموازين الزلزاليّة في البلاد الخارجة . بخلاف فاجعة سان فرنسسكو فانّ الزلزال الذي كان بدؤهُ في جهتها وفي البحر المجاور لها

انتشر بسرعة البرق ودوَّنتهُ الموازين الزلزاليّة في اوربة واليابان قبل ان تُشعر بهِ الانباء التلغرافيّة بزمن طويل . وقد دوَّن مرصد ادنبورغ بالتتابع كلّ حركات الزلزال فاظهر للعلماء انَّ هذا الكائن الطبيعيّ العجيب لم يحدث بغتةً كما تحدث الانفجارات بل جرى بتدريج فدام ثلاث ساعات تامّة بدأ خفيفاً ثمَّ تفاقم وبلغ معظم شدَّتهِ بعد ٢٧ دقيقة ثمَّ اخذ في التقهقر الى ان خمد تماماً بعد ثلاث ساعات . فكانت حركته بمثابة دائرة واسعة صعدت شيئاً فشيئاً ثم مالت الى الهبوط مع انعكاسات ونوبات شديدة مدَّة هبوطها وكلّ ذلك على حسب نواميس طبيعيّة مقرَّرة سابقاً اثبتها الزلزال الجديد بكل دقَّة . فصحَّ اذن ان الزلازل العظيمة لا تكون على بغتة . ثم ظهرت ايضاً فوائد الرصود بالمقاييس الزلزاليّة فانَّ لهذه الآلات شعوراً ادقّ واضبط من حواسّنا فاذا نظر اليها الراصد امكنهُ ان يعرف ما سيحصل قريباً من الويلات والدواهي فينذر غيرهُ بوقوعها

امَّا سرعة انتشار هذه الاهتزازات فانَّ نكبة سان فرنسسكو تثبت الارقام التي وجدت سابقاً . فانَّ موجات الزلازل على ثلاثة ضروب مختلفة على حسب وجهتها . فابطأها حركةً تجري بسرعة ثلاثة كيلومترات في الثانية تقريباً وتسير على وجه الارض امَّا اشدُّها سرعةً فانَّها تسير في باطن الارض وتبلغ سرعتها عشرة كيلومترات في الساعة . وقد ثبت ان النواة المركزيّة مع كونها في حالة الذوبان او في حالة الغازات تجري في مفاهرها كالاجسام الجامدة الكثيفة لِما يضغطها من الاثقال الضخمة فاذا حسبنا كما سبق المسافة بين سان فرنسسكو وتوكيو او ادنبورغ مثلاً مع مراعاة ساعات الهواجر المختلفة تحقّقنا بان الموجة الزلزاليّة تسير في الساعة عشرة كيلومترات مارَّة في باطن الكرة وذلك بتدقيق عجيب رغماً عن صعوبة الحساب

وهذا ناموس آخر جاءت الداهية الاخيرة مثبتةً لهُ نريد كيفيّة اقتسام البراكين والزلازل جغرافيّاً . فانَّ البراكين لا تظهر الاَّ منفردةً في مكان معلوم او متجمعة في دائرة منحصرة فيمكننا مثلاً ان نعتبر البراكين الايطاليّة اي الوازوف واتنا ولسترمبولي واوستيكا المنطفئة تارةً كفوهات شتّى لمرجل واحد ولعلَّ بركان اوستيكا لم يتفجّر الاَّ لكون المواد البركانيّة الباطنيّة وجدت عند ضغطها منفذاً عند فوهتي الوازوف واسترمبولي فخرجت منهما وكُفيت جزيرة اوستيكا شرَّها فنجت . وعلى كلّ حال انَّ انفجار البراكين منحصرٌ ابداً وقد ثبت ذلك في الحوادث الاخيرة اذ سُمع دويّ

الانفجارات وسالت المواد البركانية وهبط الرماد والحصى من الجوّ الى الحضيض امّا الهبأ والذرّات الناعمة فانتشرت في الفضاء حتى بلغت باريس وما وراءها وشوهد لهيب النيران الداخليَّة وتُقذفت الصخور الى العلاء. فكل هذه المظاهر معهودة لم يكن لها فعل انعكاس في امكنة اخرى بل بقيت في دائرة ضيّقة

امّا الزلازل فعلى خلاف ذلك فانها تنتشر في الارض كلها على حسب منطقتين كبيرتين عرَّفهما بالضبط علماء الشركة البريطانيَّة لتقدُّم العلوم والعلّامة الجيولوجي ملنر. وموقع سان فرنسسكو على خطّ احدى هاتين المنطقتين. فالاولى منهما تجري من بلاد شيلي فتدور حول الاوقيانوس الپاسيفيكي مسامتةً لجبال كرديليار الأند وللجبال الصخريَّة الى بلاد ألسكا وبوغاص بهرنغ ثمَّ تعرّج الى الجنوب سائرةً الى بلاد الكمشاك فاليابان وتنتهي الى الهند الهولنديَّة

والمنطقة الثانية منشأها في جزائر الانتيل فتمرّ حركة الزلزال في جزائر الأسور ثمَّ تنفذ في اوربَّة مارَّة بحوض البحر المتوسط ثمَّ تمتد في بطائح ما بين النهرين الى خليج العجم وسهول نهر الكنج عند سفح جبال حملايا ومنها الى قطر اصام فبرمانية عند طرف ذلك الطود الاسيوي الاوسط وتنتهي اخيرًا الى زيلندة الجديدة

ومن غريب التوافق أنَّ احدى هاتين المنطقتين تميل الى الاخرى كميل منطقة البروج الى خطّ الاستواء والزاوية من الجهتين واحدة ولا يُعلَم إن كان هذا الانطباق مبنيّ على ناموس مقرَّر او هو على سبيل الصدفة. وانَّما هو ثابت راهن انَّ مراكز حركات الزلازل موقعها كلها على طول التتوات العظيمة التي تُرى في كرتنا حيثما يكون الفرق بين علوّ الجبال وهبوط الوديان اعظم واكبر. وكثير من الارتفاعات والانخفاضات تكون في قعر البحار لكنَّها تجري على القوانين ذاتها من حيث الحركات الزلزاليَّة. وسان فرنسسكو والمدن المبلوَّة آخرًا بمصائب الزلازل كانتا روزا ومنتري موقعها كلها في سفح اطواد شاهقة جدًّا تكونت منذ قرون قليلة بالنسبة الى تكوين الارض وهي على طرف هاوية عميقة يُناسب عمقها علوّ جبالها. فهذا الاختلاف الذي يبلغ من ١٠ كيلومترات الى ١٢ كيلومترًا يدلّ على ان تلك الطبقات لم تركز بعد ولم تثبت في قرارها فيحصل من ثمَّ في قشرة الارض تجعُّدات وارتفاعات وتقعُّرات وانخسافات واسعة ينتج منها اهتزازات تنتشر كانتشار الامواج الى اقاصي البلاد. على ان السبب الاصلي في الزلازل

والانفجارات البركانيَّة واحدٌ يشترك بين هذين المظهرين وهو النـار الباطنيَّة وتجمّد طبقات ارضنا العليا. والفرق بينهما انَّ سبب انفجارات البراكين يحصل بقوَّة ضغط الغازات المنبعثة من تلك النار امَّا سبب الزلازل فالثقل الذي يعمل في الطبقات المتجمّدة عملاً غير متساوٍ فيزول بذلك التوازن الطبيعي · وفي الحوادث الاخيرة قد تأيَّدت كلّ هذه النواميس بنوعٍ جليّ محسوس

واعلم انَّ العلم لا يقوى على ان يردّ غارات الزلازل لكنَّهُ يستطيع ان يلطّف هجماتها ويقلّل مفاعيلها المدمّرة للمساكن بمعرفة اوفق الطرائق الهندسيَّة لبناء البيوت · وممَّا ظهر بالاختبار في الزلازل الحديثة ان احسن بناء لتخفيف قوَّة هذه الاهتزازات البناء المستحدث بالحجارة مع اتّخاذ هيكل البنـاء من الفولاذ · فان الابنية التي قاومت الزلازل بقوَّةٍ اعظم انَّما كانت المنازل المشيَّدة على هذه الصفة · فان بيوتاً كانت تبلغ الى حد عشرين طبقة ثبتت قائمة مع خراب اقسامها الداخليَّة · فزادت هذه النتيجة رغبةَ البنَّائين في الفولاذ وعمَّا قليل سوف تزيد الطلبيَّات في كلّ معامل امركة واوربَّة

وان جاز لنا ان نختم هذه المقالة بملاحظة ادبيَّة قلنـا انَّ هذه المظاهر المخيفة من شأنها ان تنبه الانسان الى صغرهِ وذلّهِ فانَّ المرء في زماننا هذا كاد يشمخ بانفهِ بعد تقدُّمهِ في العلوم وتوفُّر اختراعاتهِ فيظنُّ نفسـهُ كشبه الاله فاذا ما رأى في بضع ثوانٍ كل ثمرة عملهِ متضعضعةً مفقودة عرف حقَّ المعرفة انهُ تحت قبضة الهٍ قدير لا يمكنهُ التملُّص من ملكهِ وتدبيرهِ فيرعوي الى ربّهِ ويُخلص لهُ الخدمة · هذا الى ما ينتج عن احتمال الالم من توثيق الاخلاق وتشديد الطباع والحنان الى الفقير والبائس فان الغني ما دام عائشاً في البذخ ورغد العيش لا يفكر في حالة ذوي البأساء والجائعين امَّا اذا دهمهُ الجوع والالم فيرق قلبهُ لبني جلدتهِ · فكم من اصحاب الثروة الطائلة خرجوا من سان فرنسـكو بثوب النوم الى شوارع البلدة لينجوا بنفوسهم ولم يجدوا ما يسدُّون بـه رمقهم فادركوا اذ ذاك قول الحكيم « باطل الاباطيل وكلّ شيء باطل » · على انَّ اكثر هؤلاء المنكوبين لم يهملوا نفوسهم الى اليأس والقنوط وهبُّوا اليوم بنشاط جديد الى العمل موضحين بذلك ما في قلب الانسان من الثبات والجلَد فضلاً عن الحب لمسقط الرأس وبا ليتهم يزيدون مذ الآن ثقةً واتكالاً على ملك الملوك الذي يميت ويحيي ينزل الى الجحيم ويصعد كما يشاء سبحانهُ وتعالى لا اله غيرهُ

الخوري جرجس عيسى اللبناني

الراهب القانوني الباسيلي البلدي من الرهبنة المشهورة بالخناوية

بقلم الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف احد اساتذة المدرسة الشرقية في زحلة

هو الياس بن ابرهيم (المتوفى سنة ١٨٥١) بن الياس (المتوفى سنة ١٨٣٨) بن عيسى السكاف وينتمي الى أُسرة عُرف جدُّها بابرهيم الحنَّا النصراني قدم من قرية كفربهم قرب مدينة حماة منذ زمن طويل ونزل في قرية ترحين في ارض حوش الامراء من قضاء زحلة وهي خراب اليوم ثم انتقلت فروعه الى زحلة وبعض قرى البقاع كبرّ الياس وغيرها. وعُرفوا بفرعين احدهما يعرف باسم الحاج شاهين والآخر باسم السكاف وهذا الفرع ينتسب الى جدَّين نصر وعيسى

وقد نبغ من فرع عيسى بعض كهنة افاضل منهم المُترجم وابن عمه الخوري اكليمنضوس عيسى من الرهبنة المخلصية واسمهُ عبدالله دخل الرهبنة سنة ١٨٥٥ م وكان مديرًا للرهبنة ورئيسًا لبعض اديارها مدةً ثم وكيلًا لها في القطر المصري ووُكلت اليهِ شؤون كثيرة فيها قام بها احسن قيام واشتهر بتقاهُ وغيرته الى أن توفي نحو سنة ١٨٩٣ عن بضع وخمسين سنة

ومن أنسباء المترجم الذين اشتهروا في القطر المصرى بغناهم وفضلهم ابرهيم وسليم ابنا عمهِ مخايل عيسى اللذان ارسل اليهما قصيدة سنة ١٨٥٦ منها:

لقد حزتم صفات الاكرمينا فمدتم في الورى غوثًا مبينا
نأيتم عن ربوع الاهل عمدًا وانتم ضمن قلبي ساكنونا
تصلَّب قلبكم في البعد عنا عساهُ بعد ذلك أن يلينا
رضينا قربكم منا فشُوا اذا كنتم رضيتم ما رضينا
فأرجو الله قرب الجمع حتَّى أرى من قد غدوا ركنًا مكينا
تسمَّى واحدٌ منهم بعدلٍ خليل الله مولى العالمينا
برادفهُ اسمُ ابراهيمَ معنًى كما جاءت نصوص الاولينا
وثانيهم تسمَّى اذ تبدَّى من القربى سليم السالمينا
فعاد سلامةً والقلب منهُ تضمَّن كل طهر الطاهرينا
بقيتم سالمين وذاك حسبي ودمتم في نعيمٍ رافلينا

فأسدوا لله باري الكون حمدًا   اذا ملتم شمالًا او يمينا

ومن مراثيهِ البليغة رثاء احدهما المسمّى ابرهيم كما سيأتي ومن تواريخهِ الرشيقة تاريخ وفاة امرأة عمه مخائيل عيسى سنة ١٨٥٧ كما سيمر بك . اما ابن عمه الثاني المسمّى سليمًا فقد توفي في الاسكندرية سنة ١٨٦٧ وبهِ انقطعت سلالتهم ورأيت بين أوراقي مرثية لهُ بقلم المرحوم سليم بك تقلا لم اجدها في مجموع اشعارهِ المطبوع بعد وفاته فآثرتُ اثباتها هنا حرصًا عليها وهي :

حتى متى نحن بين اللهو واللعبِ   والبينُ ألقى علينا جفن مرتقبِ
يا ايها الناس هبّوا من رقادكمُ   فان داعى المنايا جدَّ بالطلبِ
تأهبوا واستفيقوا من خماركمُ   لشرب كاسٍ بها غيرُ ابنة العنبِ
قد هاجمتنا المنايا وهي غائرةٌ   فليس من ملجإٍ منها ولا هربِ
أين الملوك ومن في الارض قد حكموا   وأينَ من طلعوا في اشرف الرتبِ
وأين كل قرون الناس من قدمٍ   ممن اتى قبلنا في سالف الحُقبِ
الله اكبر ما في الارض من أحدٍ   الّا يذوق كؤوس الموت والعطبِ
ولا سليمٌ من الاقدار مؤتمنٌ   هيهات ان السليم اليوم في التُربِ
سهمٌ قضى ومضى عنا على عجلٍ   وخلّف الحزن في الاحشاء كاللهبِ
أصابهُ سهم بين شق مهجتهُ   بل شقَّ مهجة باكٍ فيهِ منتحبِ
قد بات محتجبًا في الأَرض وا أسفا   وشخصهُ بات عنا غير محتجبِ
غصنٌ أتتهُ يد الاقدار قاصفةً   فجفَّ وبلاهُ زاهي قدهِ الرطبِ
أقام في آل عيسى مأتمًا عظمت   فيهِ بليّتهم بالويل والحَرَب
هذا السليم السليم القلب من درنٍ   بين الورى والسليم النفس من ريبِ
من آل عيسى الى عيسى الالهِ مضى   فكان في كل حالٍ خيرَ منتسبِ

وأرخ وفاته العلّامة الشيخ ناصيف اليازجي بقولهِ :

ولّى سليمٌ نحو عيسى جدّهِ   والنفس طارت نحو عيسى ربّهِ
قد ذاق من كاس الخلاص كما اشتهى.   ماء الحياة متمّمًا في شربهِ
فاذا اردتَ لعامهِ التاريخ قُل   أعطاهُ ربُّ العرش شهوة قلبهِ

هذه لمعة عن اسرته وبعض انسبائهِ تمهيدًا لسرد ترجمته التي هي :

ولد الخوري جرجس عيسى في معلقة زحلة التي كانت تابعة لبنان سنة ١٨٢٧ ومال الى العيشة النسكيَّة فقصد دير القديس يوحنا الصابغ الشهير وابتدأ فيهِ من يد رئيسه العام الخوري نقولا صوايا في ٢ ت ٢ سنة ١٨٤٥ وهو في السابعة عشرة من سنيهِ ثم

ابرز النذور الرهبانية في ٦ تموز سنة ١٨٤٧ على يد الرئيس العام الموما اليهِ فتلقّى العلوم اللازمة لـهُ ومبادئ العربيّة على بعض الآباء اذ ذاك وكان يدرّس بشاره بن الياس النحّاس واخوتهُ في بيروت فاتّصل بالعلّامة المرحـوم الشيخ ناصيف اليازجي ودرس عليهِ العلوم العربية بفروعها فأتقنها ثم الفقه الشريف على العلامة الشيخ يوسف الاسير فتضلّع بهِ

ومـال الى نظم الشعر فأحرز منهُ نصيباً وافراً وفي مكتبتي ديوانه بخطّ يدهِ في اكثر من خمسين صفحـة بالقطع الكبير وهو ليس الّا منظومات بضع سنين وسأفرد لمنظومهِ باباً خاصاً

وفي سنة ١٨٥٧ سيم كاهناً وتقلّد كثيراً من اعمال الرهبنة بغيرة ونشاط فقد انتُخب مدبراً لها في ٢٨ ت ٢ سنة ١٨٥٩ بزمن رئاسـة المرحوم الخوري فلابيانوس كفوري ولستنسخ بعض كتب منهـا كتاب « الكاروز » وهو اشبه بمعجم للواعظ يهديهِ الى الآيات الكتابية في كل موضوع يريدهُ وقد رأيت منهُ نسخة قديمـة في مكتبة دير القديس يوحنا بديعة الخط كبيرة الحجم فحبّذا لو طُبعت لأنهـا تفيد الواعظين كثيراً وتسهّل عليهم طلب الآيات الكريمة حسب المواضيع التي يلقون فيها خطبهم

واشتهر بمعارفـهِ وتقواهُ فنُصّب حَكَماً للنصارى بزمن الامير بشير أحمد اللمعي نحو سنة ١٨٥٩ وقام بمهمتهِ قياماً حسناً الى ان شُكّلت المتصرفيّة الجديدة والغيت قائمية المقام في ١٧ ت ٢ سنة ١٨٦٠

ثم حدَّثتهُ نفسهُ بأن يوفر مال الرهبانية خدمة للدين والعلـم فاستأذن رؤساءهُ الروحيين وسافر الى ارلندة (من جزيرة بريطانية) سنـة ١٨٦١ فصرف هنالك بضع سنوات بجمع الاحسان بغيرة ونشاط ثم عاد الى سوريّة نحو سنة ١٨٦٥ بعد ان عاج ببعض عواصم اوربة

وشرع اذ ذاك بنـاء على امر غبطة الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف الأول بتشييد المدرسة البطريركية لطائفتهِ في بيروت وهي الى اليـوم ناطقة بفضلهِ وعنايتهِ وانفق عليها كثيراً مما جمعهُ من ارلندة كما مرّ وكان بذاتهِ يناظر بناءها واكمل معدّاتها وترأسها ففتحت ابوابها للطلبة سنة ١٨٦٦ م فانتقى لها افضل اساتذة عصرهِ كالعلّامتين الشيخ محيي الدين اليافي والشيخ ناصيف اليازجي وسعادتلو شديـد بك

حبيش وسليم بك تقلا وغيرهم . فنبغ فيها من الادباء من يذكرون اتعابهُ الى اليوم واجتهادهُ وغيرتهُ . وكان من طلبتها كثير من ابناء الوزراء والاعيان

وقد وضع لها رسوماً وقوانين بمساعدة مدير دروسها الطيب الذكر البطريرك بطرس الجريجيري ايام كان كاهناً . واسس فيها اخويَّة القربان المقدَّس للطلبة . فبقي بضع سنوات متفانياً في ترقيها الى ان دعت الحال ان يستقيل من رئاستها فتركها وجاء دير القديس يوحنا الصابغ فتخرَّج عليهِ كثير من الآباء نخصُّ منهم سيادة الحبر الغيور المطران اغابيوس الملوف مطران بعلبك الذي صحبهُ كثيراً ولاسيما بعد انتقالهِ الى بيروت

وفي اوائل سنة ١٨٧٠ استقدمهِ اليهِ الطيب الذكر المطران اغابيوس الرياشي مطران بيروت ولبنان واقامهُ وكيلاً لهُ فشمَّر عن ساعد الهمَّة وشرع في تجديد المدارس وتولَّى التدريس بنفسهِ في بعضها واكبَّ على الوعظ والارشاد وأسس اخوية العذراء الطاهرة في ١٥ آب سنة ١٨٧٠ فثبتها الاسقف المشار اليهِ في ٢٥ اذار سنة ١٨٧١ وبلغ عدد مشتركيها نحو ثلاثمائة وذلك بعد تأسيسها بقليل وقد وضع لها فرائض بكتاب سمَّاهُ « فرض العبادة الواضحة لطالبي المنَّة الصالحة » طبع في المطبعة العموميَّة في بيروت سنة ١٨٧٢ بنفقة الاخوية نفسها في ٣٣٠ صفحة بقطع صغير واخبرني بعض الآباء انهُ طبع حديثاً ثانية

وهذه اول اخوية أُسست في بيروت لطائفتهِ وكان السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم قد أسس اول اخوية في دمشق قبل ذلك

وقسم هذا الكتاب الى ثلثة اقسام ضمَّن اولها فرض الاخوية والثاني رسومها والثالث بعض صلوات خصوصيَّة وقوانين للعابد

ورتَّب عمدة الجمعيَّة ووضع لكل منهم قوانين خصوصية وللجميع قوانين عمومية بضبط واتقان . ورتَّب قوانين للمكتبة الدينيَّة التي جعلها غذاء روحياً للانفس وكان يفسر فيها لهم بنفسهِ الانجيل ذلك اليوم ليلاً

وقد منع البحث بالامور السياسية والتجاريَّة ونحوهما . ولم تقتصر تلك القوانين على ذلك فقط ولكننا استحسنَّا منها الغاء بعض العوائد التي لا فائدة منها . كالتعرُّض بالردّ لمن يقرأ . والمحادثة وقت القراءة القانونيَّة والضوضاء والحركات وتغيير المحلَّات ونحوها .

والخلاصة انهُ جمع بهذا الكتيّب كثيرًا من الفروض الموافقة للشرقيين مع زيادات مفيدة واسس اخويات للنساء بهذا الاسم ايضًا ولم تزل الاخويتان في بيروت الى اليوم ثم وضع كتابًا آخر سمّاه « كتاب صلوات خشوعية لنظم الحياة الروحيَّة » طبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٧٢ في ٢١٨ صفحة (١

وهكذا صرف حياتهُ بجهاد وغيرة حتى ذاع شهرةً في مدينة بيروت وغيرها وكان تقيًّا جدًّا ومثالًا للطهارة والعفة كما يقرّ بذلك جميع الطوائف الى اليوم ومن ادلّ الامثلة على غيرتهِ وجهادهِ ما خُتمت بهِ حياتهُ الطاهرة وبذلك نختم سيرتهُ الآن:

لما انتشر الهواء الاصفر سنة ١٨٧٥ في ما بين النهرين وامتدَّ الى حماة وحمص والهرمل وطرابلس وصيدا وغيرها الى ان اتصل بدمشق وبيروت وفتك فيها كلها فتكًا ذريعًا كان هذا الاب الفاضل ثابت الجأش في مدينة بيروت التي نزح معظم سكانها واكثر الكهنة حتى انهُ لم يبقَ الّا المترجم والخوري بوتابا البغدادي من طائفته فاشار كثير من الآباء عليهِ ان يترك بيروت بعض ايام تبديلًا للهواء الى ان يتقلّص ظلّ الوباء محذّرينهُ من اتصال المرض بهِ فاجابهم : « ان الصحة العمومية (واراد صحة الانفس) أفضل من صحتي ». وهكذا كان يجول في الاسواق والبيوت متفقدًا المرضى يخدمهم في تتميم الواجبات الدينية بلا خوف ولا جزع وكثيرًا ما كان يحمل الموتى الى المدافن

فبقي على ذلك اشهرًا حتى انهُ بعد زيارتهِ لأحد المصابين احسَّ بهيضة وتهوّع كثير فعرف بدنوّ أجلهِ . ومما يُروى عنهُ انهُ مرَّ في طريقهِ على نجّار من المسلمين واوصاهُ على تابوت مدعيًا انهُ لأحد المرضى قائلًا لهُ : ان المريض مثلي تمامًا « فأخذ قياسهُ » وما وصل الى الدار الاسقفية حتى اشتدَّ عليهِ الداء فقضى نحبهُ في ٨ آب سنة ١٨٧٥ فذهب الخادم الى النجّار المجاور للدار الاسقفية واوصاهُ على تابوت فقال لهُ : انهُ حاضر واين الكاهن ليأخذهُ . فقال لهُ : انهُ توفي . فتعجّب وبقي يروي ذلك لكثيرين

وكان رحمهُ الله وأجزل ثوابهُ مشهورًا بتقواهُ خطيبًا بليغًا يؤثر كلامهُ في النفوس محبًّا للفقراء والمرضى غيورًا على الخدمة الروحية وقد ترك للرهبنة والفقراء مالًا كما ورد في سجلّ الرهبنة واقتنى مكتبة جمة تنيف على مائتي مجلّد ذات شأن يقلّ نظيرها في

١) راجع المشرق (٣ : ١٠٠١)

المكاتب الشرقية فقيهاً بارعاً متقناً العربيـة عارفاً بالانكليزية والفرنسوية شاعراً مجيداً وكان مصاباً بالجدري وفي وجهه اثر ندوب منهـا وقد خدم الرهبنة وكرسي بيروت والمدرسة البطريركية الزاهرة خدمات جليلة تُذكر فتشكر وقد اشـار الى ذلك المرحوم سليم بك تقلا في احدى قصائده التي لم تطبع في ديوانه (١ بقوله في مدح المدرسة البطريركية ومؤسسها السعيد الذكر :

ومدرسة في ارض بيروت شادها ‏ ‏ فكانت بما تبديه من حكم عَذرا
جرى وسطها نهر المعارف صافياً ‏ ‏ وفاض زُلالاً رائقاً يشرح الصدرا
لقد خصها من قبلُ في جرجس الذي ‏ ‏ أبان ابتداها وابتنى الكدَّ والقهرا
وقاسى بها كلَّ الصعابِ مجاهداً ‏ ‏ وجمَّلها علماً وقدراً كذا ذكرا

واشار الى منزلته المرحوم الشيخ خليل اليازجي في مرثيته البليغة لهُ التي منها (٢ :

ليومك في الورى ذكرٌ عظيمٌ ‏ ‏ كذكرك عند محتضرٍ وبادِ
وما يغني اذ كارك غيرَ دمعٍ ‏ ‏ تشبُّ بهِ الصبابةُ في الفؤادِ
ومثلك لا يفيه صَوبُ عينٍ ‏ ‏ ولو جرت المدامع بالسوادِ
وما مثل المدامع من محبٍّ ‏ ‏ لمن أبكى الأحبة والاعادي
ومن لم يشكُهُ أحدٌ بضرٍّ ‏ ‏ ومن لم يشكُ ضراً في العبادِ
ومن كانت لهُ التقوى شعاراً ‏ ‏ وسهد الليل من أهنا الوسادِ
ومن كانت خلائقهُ عظاتٍ ‏ ‏ بها يأتمُّ أرباب السدادِ
عهدتك لا تُخيب نداء داعٍ ‏ ‏ فما لك لا تجيب دعا مُنادِ
وكنتَ بنيرةٍ ناراً فمالي ‏ ‏ أراك اليوم صرتَ الى الرمادِ
قد اتقدت زماناً فيك حتى ‏ ‏ غدت فينا لفقدك في اتقادِ
وكنتَ اذا تنادينا بوعظٍ ‏ ‏ تمثّل للملا يوم التنادي
وكان بك الجماد يذوب حزناً ‏ ‏ فصرتَ اليوم من بعض الجمادِ
وكنت عماد فضلٍ في البرايا ‏ ‏ فبات الفضل منهدم العمادِ
وكنتَ أجلَّ من يرعى وداداً ‏ ‏ فما لك لا تحنُّ الى الودادِ
ستبكي بعد جرجس آل عيسى ‏ ‏ دموعَ دمٍ تُقارَن بالسهادِ
قضى بالله مرتحلاً اليهِ ‏ ‏ فأدرك عندهُ أقصى المرادِ

الى غير ذلك مما يتناقلهُ كثير من شيوخ مدينة بيروت الذين عرفوا عداد حسناتهِ رحمهُ الله

(التتمة لعدد آخر)

---

١) النفحة المترامية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٠ (صفحة ٧)

٢) نبات الاوراق المطبوع في مصر سنة ١٨٨٨ (صفحة ١٠)

ديانة الكالا

للصديق القانوني الاديب عبدالله افندي ميخائيل رعد

٢ مبادئ هذه الديانة (تابع)

قيل ان كيفية صلاة الشعوب وما يتلونهُ في تسابيحهم صورةٌ حية لمعتقداتهم . وهذه الصورة تُظهر باجلى بيان لستقامة عقائد شعب الكالا . فصلاتهم عادةً تكون على هيئة تراتيل او بالحري نشائد تنبئ عن عواطفهم ومكنون افكارهم عن الوهيَّة واكا . واليك ترجمة بعضٍ من هذه النشائد :

صورة انشاد عشائر الشوا

نشيد اول

يا واكا يا واكا يا الحي
بك اقضي ايامي ولياليَّ
قبَّة السماء زرقاء وعمقها نقي
تبقى منشورة بلا أطناب ولا حبال
وتدوم واقفة بلا دعائم تحملها
تسطع بلمعانها وتحمل النيوم وتضبط النجوم
هذا من قوَّة واكا فاعلموا يا بني اوروءو

نشيد ثاني

يا واكا يا واكا يا سيدي
اذا هدمتَ البيت لا تطالَب بارجاع بنائهِ
اذا امتَّ الانسان ما عليك ان تدفع دية دمهِ
كل شيء يوجد عندك فلا تجيب طالبيك
ومهما اعطيتَ لن تنقص خيراتك
لا تطلبوا يا بني اوروءو الَّا من واكا

وتسبّح عشائر العروسي بمثل هذا النشيد :

يا واكا يا واكا يا ربي
يا ابانا المالك في السماوات
انت تعلم خفايا قلب الانسان واسرار الطبيعة
فلا قدرة تشبه قدرتك ولا مُلك يقرب من ملكك

وتنشد عشائر الايتو مثل هذا الدور :

يا واكا يا سيدي
انت المولى الذي لا مولى يسوده
انت الغني الذي لا يحيق بهِ فقرٌ
انت العليم الذي لم يتعلَّم من احد
انت الملك الذي لا شبيه لـلذَّته
انت الذي تأمر بارادتك الانسان ان يعلو اليوم وينحطَّ غداً الخ

فانظر يا رعاك الله الى هذه التسابيح البسيطة واحكم في معناها . وقل لي بحقك هل استطاع اجدادنا واسلافنا الأول من عهد نوح وبنيه ان ينطقوا بافصح من هذه المدائح ؟ . وهل تناقلت عنهم ذرّياتهم الى الاحقاب البعيدة اكمل من هذه الاحقاب ؟ . وما اجملَ ما تدعو بهِ عشيرةُ العروسي اللهَ قائلةً لهُ « ابانا الذي في السماوات » واجمل من ذلك ايضاً ما تقول هي نفسها في نشيد آخر « يا ابانا أرسل لنا كلمتك » وهو قول يستحق ان يُكتب بماء الذهب . وهاكه بلفظهِ في لغتهم « كاليكِه نوأز گي يا اباَيو »

وبعد ذكرنا لهذه تسبحات الكالا يجمل بنا ايضاً ان نأتي على ذكر بعض ما عندهم من الاقوال والامثال الحكمية لترى ايضاً اية مبادئ عندهم في معرفة الله قالوا:

١ً اذا لم يعطِ واكا القوت فلا يستطيع الانسان على تحصيله . (وهو قول يشبه ما جاء في المزمور الـ١٢٦ : ان لم يبنِ الرب البيت فباطلًا يتعب البنّاؤون)

٢ً سيطلب واكا حساباً من الهواء حتى عن القشة التي ذرّاها . ومن الخاطئ حتى عن اصغر ذنب اتاه

٣ً لا تقل : ان واكا لا يراني ويمكني ان اعمل الشر لان واكا يحاسبك على تملك

٤ً عُد عن آثامك . فالخفية وان كانت ليلًا بالنسبة لاعين البشر الّا انها نهار بالنسبة لعين واكا

٥ً كثيرًا ما يدع واكا الصالحين في الفقر ويعطي الغنى للاشرار ولكنهُ يعمل ذلك ليعدّهم لحياة عتيدة

٦ً اذا احب واكا احدًا افتقده بالاوجاع ليعلّمه ان لا يكون شريرًا

٧ً جاء عدوٌ قاسٍ واختطف رضيعاً من على ذراعي امه الباكية وذبحه (١) . انتَ يا واكا الذي سمحتَ بان يُقترف هذا الاثم . ولكن لماذا رضيت بذلك ؟ نحن لا نعلم بل انت وحدك تعلم

٨ً نضج الزرع وقرب يوم الحصاد فارسلتَ على الحقول جرادًا اكلت المواسم ولم يبقَ

---

١) هم الامحريون الذين كانوا يأتون مثل هذه القساوة البربريّة في غزواتهم على قبائل الكالّا وسواها من العبيد المصاقبتهم

حبوب والناس تبكي. انت يا واكا الذي رضيت بذلك. ولماذا؟ نحن لا نعلم بل انت وحدك تعلم

يا واكا انت الذي خلقت الناس والبهائـم التي تعيش على الارض. انت الذي خلقت لنا الزرع لقوتنا. نعم انت خلقت الحبوب لا نحن. انت تعطينا القوّة للشغل والبقر للحراثة فنزرع ونحصد ما اعطيتنا

اذا قدّم لنا اناس غرباء يجب ان نتعرّف بهم لكن انت يا واكا تعرف كل الناس سلفاً من دون ان يُقدّموا لك وليست معرفتك بهم لانك رأيتهم بل لانك خلقتهم

لعمري هذه شواهد قويّة على ايان الكاّلا بالله تعالى وبعزّته وبقوّته وعلى انهـم يقرّون بان الشر والاثم انما يُفترقان برضى الله تعالى وسماحه وهي نقطة طالما تعقّد فهمُها على فلاسفة زماننا ويصعُب عليهم حلّ مشكلها. افلا نقضي بالعجب اذا رأينـا الامم الهمجية تعتقد بها بكل سذاجة وطوعية؟ نعم اننا لا نستطيع ان نردّ عنا الدهشة اذا فكّرنا كيف ان حكماً صالحة ومبادئ قويمة كهذه توجد عند امم همجية متوحشة. لا بل عندي ان سهم الهمجية والتوحش الذي نرشق به هذه الامم الساذجة التي تعيش كما عاش اجدادنا الأوَل الطوبون يجب ان نردّه بحق واجب (لو رمنا العـدل) الى قلب فئة من الناس يدّعون اليوم منتهى التمدّن وهم ينكرون وجود الله عزّ وجلّ وكل يعلم انّ جرثومة التمدّن واصله معرفة الله تعالى والسلوك على وصاياه ونهاياه

*

ما خلا السجود لله فان ديانة الكاّلا تعلمهم بوجود ارواح صالحة طوباوية يدعون بعضها «أَيانا» وهم الملائكة وبعضها «اوليًا» والكلمة عربية الاصل (١ (ولي).

---

١) استعمال بعض الكلمات العربية الاصل عند قبائل الكاّلا آتٍ من دخـول بعض افراد العرب الى بلادهم وهؤلاء كانوا يأتونهم ببعض الاصناف كالخرز والاسلحة والاقمشة ويستعيضون عنها بالغلمان ايام كان الاتجار بالرقيق مسموحاً . اما اليـوم فقد امتنعت هذه التجارة رسمياً في الحبشة الا انها لم تزل باقية في الخفية لان الملوك والامراء اذا كانوا راضين من رعاياهم انعموا عليهم بعبيد من الجنسين وهؤلاء الرعايا مسموح لهم ان يتهادوا ما أُنعم عليهم من الارقّاء غير ان بيعهم محظور عليهم ولو انهم يجرونهُ بالسر تحت حجة الهدية . اما ملوك الحبشة وامراؤها انفسهم فانهم لم يفتأوا الى اليوم يتخذون لخدمتهم كعبيد من يغتنمونهُ في غزواتهم على القبائل المجاورة لبلادهم. ومن هذه الغنائم ينعمون على رعاياهم

اوليا٠) وهم القديسون٠ وبوجود ارواح شريرة هي الابالسة وقد اتخذوا اسمها من العربية ايضاً فقالوا « جني »

اما عن اعتقادهم بالآخرة فالاورومو يستحقون المديح الذي مدح به القديس اوغسطينوس شعوباً كثيرة من جملتها الغوال (Gaulois) ٠ لا بل ان الكالا يفوقون هولاء سداد رأي في هذا المعتقد لانهم يؤمنون بثلاثة اماكن معدّة لسكنى انفس المتوفين

(اولاً) الجنة ٠ ويدعونها « ايّالا واكا » اي نعيم الله ٠ او « بيّاناتشا واكا » اي مكان راحة الله ٠ وهم يقولون عن هذا الفردوس انهُ معدّ لاقتبال الصالحين الذين يتمتعون فيهِ بالسرور الابدي برفقة واكا واوليائه

(ثانياً) صقر ٠ ويدعونها « إيبيدا أدجابا » اي نار العذاب٠ وهم يصرّحون ان اليها تذهب نفوس الاشرار حيث تتألم برفقة الابالسة٠ ولكنهم يقولون أن قلّ من الاورومو من يذهب اليها ٠ والائمة الذين يستوجبون هذا المكان هم عندهم : « الذين في حياتهم لم يعبدوا واكا ٠ ولا كرّموا اولياءهُ ٠ ولم يزكّوا عملهم وسنهم للمحتاجين٠ ولم يكسوا العراة ثوباً ٠ وقتلوا ٠ وغزوا بين القريب ٠ وظلموا ٠ واستحلّوا تعب الفقير ٠ وسبّبوا بكاء المساكين هؤلاء يصيرون الى نار العذاب » ٠ اماّ عن كيف يفهمون نعيم الابرار وجحيم الاشرار فمعتقدهم بهِ يطابق لمعتقد الكنيسة الجامعة حتى ان المبشرين من آباء الرسالة الكاثوليكية لا يرون بأساً من اتخاذ نفس الفاظهم وعباراتهم عند ما يشرحون لهم التعليم المسيحي

(ثالثاً) المطهر ٠ ويدعونهُ « كولفا » لكنهم يجعلونهُ تيهاً تتيه فيهِ نفوس من لم يكونوا اشراراً حتى يستوجبوا نار العذاب ولا ابراراً حتى يؤهّلوا لنعيم واكا ٠ بدليل ما قالوا : « ان الذين لم يكونوا فضلاء كفاية في حياتهم حتى انهم لم يحفظوا تماماً شريعة واكا ٠ والذين كانت طبائعهم فظّة وشديدي الغضب ٠ هؤلاء يحكم عليهم واكا ان يتيهوا بعيداً عنه الى ان يتعلّموا ان يحبوه ويكونوا قد كفّروا عن نقائصهم فحينئذٍ يقبلهم ان يدخلوا الى مكان اوليائه » ٠ ولهم بهذا المطهر ايضاً خرافات واعتقادات باطلة : منها انهم يجعلون التائهين في الكولفا نفوساً قائمات عن بُعد بخدمة الابرار يحملن منهم وحياً الى البشر الذين على الارض ويُساعدنَ في تقديم الضحايا ويخبرنَ الاولياء بما شرّفهم البشر

على الارض . ومنها ان هذه النفوس التائهة تحوم بنوع اخصّ حول البيوت والمضارب وتحمل الامراض من رجل لآخر . ويسكن بعضها الاحراش وبطون الادغال ومجاري المياه وشقوق الصخور . ولهم في ذلك خرافة اكبر ايضاً وهي ان هذه النفوس انما هي اناث لا ذكور وان حُكم على نفس ذكر بهذا التيه صارت هذه النفس انثى في تيهها ثم عادت ذكرًا عند ولوجها الى الجنة

*

قلنا قُبيل هذا ان الاورومو يعتبرون أنْ قلّ من يصير منهم الى النار العتيدة وذلك لان لهم ثقة عظيمة لا بل طمعاً بواكا فيقولون: « ان واكا الكريم بالذات وهو يحبّ كثيرًا بني اورومو فكيف يزجّهم في مكان هذا العذاب وهم اولادُ لـهُ امناء؟ » . ولكنْ هذا الطمع الاعمى يحدو بهم لسوء الحظ الى التراخي في ارتكاب المعاصي معتمدين على ان واكا لا يهلكهم مع انهم يقرّون مبدئيًا بهلاك الاثيم . واذا رأوا الموت امامهم لا يتخزهم ضميرهم على معاصيهم ولا يذكرهم يوم الحساب بل ينظرون الى الميت بعين عدم الاكتراث ويقولون: « من مات فقد قضى زمن حياته ويذهب الى بيته الابدي حيث يدخل نعيم واكا » . وبهذه الذكرى يمسحون دموعهم . واليك حكاية يقصّها قبائل هؤلاء الامم ليذكّوا انفسهم من حكم الديّان العادل وهي بالحقيقة حكاية مضحكة . قالوا:

« ان العرب والروم والامحريين لهم كتب اعطاهم اياها واكا ولكن الاورومو ليس لهم كتاب . حكى آباؤنا ان واكا لما وزّع هذه الكتب اعطى ايضاً لبني اورومو كتابًا كان مدونًا فيه كل ما تتناقلهُ اليوم بالتقليد عن اجدادنا ولكن قامت بقرة واكلتهُ لنا فاغتاظ حينئذٍ واكا ولم يرد ان يعطينا غيرهُ واضطررنا بحكم الضرورة ان نفتّش عليه ببطون الابقار حتى نجده . لذلك اذا اقترف احدنا الشر فانما يعملهُ عن جهل واذا مات هذا الاثيم الجاهل تصعد نفسه الى السماء وتقف عند المدخل . فيسأل واكا اولياءه: مَن بالباب؟ — فيجيبونهُ : هو اورومو — فيقول حينئذٍ واكا : ان كان هذا اورومو فهو من صنف الجهلة وقد عاش حياتهُ كبقرٍ لا يعرف الخير من الشر فكيف نعاقبهُ على اثمهِ؟ فاطلبوا لهُ مكانًا في احدى زوايا الجنة »

واذ كان احد المرسلين ذات يوم يبشّر جماعةً من هؤلاء القوم العبيد وكان بيده

كتاب التعليم المسيحي مطبوعاً بلغتهم باحرف افرنجية قال لهم من باب التفكهة: «تقولون ان واكا اعطى في البدء آباءكم كتاباً فقدوهُ فاني قد وجدته لكم وها هوذا». ثم اخذ يقرأ لهم في الكتاب الذي بيده وصايا الله فلمَّا رأى ذلك الكاآلا دهشوا من سماعهم لغتهم تقرأ في كتاب وعهدُهم ان الكتاب الوحيد المكتوب بهذه اللغة انما هو كتابهم المفقود. واذ اصغوا الى ما كان يقرأه المبشر طاروا فرحاً لسماعهم كلاماً يعرفون انهُ شريعة واكا واسرعوا يخبرون بني جلدتهم بان الرجل الابيض الذي جاء العشيرة (وهو الكاهن البشير) وجد كتاب الكاآلا المفقود موكدين لهم انهُ قرأ لهم في هذا الكتاب نفس العقائد التي علّمها آباؤهم. وهكذا شاع في تلك العشيرة خبر قيامة الكتاب الذي ابتلعتهُ البقرة في سالف الزمان

فما احرى وما احقّ ان يقال عن هذه الأمة ما قيل عن الغوال انهم حافظوا بامانة على تعاليم اجدادهم. وبينا نرى الشعوب في الازمنة السالفة قد انغمسوا بالرذائل فاتخذوا شهواتهم كآلهة عبدوها فسجدوا لآلهة العشق واله الخمر ونحوهما وقدموا لها الضحايا وأحرقوا البخور على هياكلها. نرى شعب الكاآلا قد حافظ على الامانة التي ورثوها عن اجدادهم الاولين ولم يجرفهم ذاك التيار العظيم الذي انهمل على بقية الشعوب الأُوَل ألا وهو عبادة الاصنام والسجود لكثرة الآلهة (لهُ تابع)

الحميراء في بيروت

نظر للدكتور حبيب افندي الدرعوني

قد انتشر منذ بضعة اسابيع في بيروت داء الحميراء فرأينا ان ننتهز هذه الفرصة فنكتبَ فيهِ فصلاً لقرَّاء المشرق ليحيطوا بهِ علماً ويتَّقوا اضراره. ويزيدنا رغبةً في الكتابة عن هذا الداء ظواهرهُ غير المألوفة التي لحظناها في الوافدة الحاليَّة

❁ اسم الداء ❁ للحميراء اسماء عديدة تختلف حسب اختلاف البلاد ففي ضواحي لبنان يسمُّونها دشيشة. ومنهم من يفضّل تسميتها بالحصبة وهو اسمها الشائع عند العرب وقد ورد اسمها في المعاجم العربيَّة بلفظ «الشَّرَى» وهو غلط لان

الشَّرى في العرف الطبي طفحة جلديَّة ترافقها حكَّةٌ وهي وقتيَّة تزول بزوال اسبابها التي اهمُّها تخمة في المعدة ويُجرِّع صاحبها بعض عقاقير معلومة وهي معروفة بالافرنسيَّة باسم (urticaire) . امَّا نحن فقد آثرنا ان نسمّيها حميراء . وهو اسم اقرب لاسمها في الافرنسيَّة (rougeole) دفعاً للالتباس

﴿ اسبابها ﴾ قد لحظ الناس منذ زمن مديد انَّ الحميراء داء وبائي يفشو بالعدوى وينتشر مثل داء الجدري . ولكن جهلوا سبب الداء وعاملهُ وهو لا يزال مجهولًا . على أنَّنا نظنّ انَّ الحميراء من الامراض الميكروبيَّة لانها تُعدي بالتلقيح وان كانت جراثيمها المُعدية لم تُعرف حتى اليوم

واكثر ما تنتشر الحميراء في فصل الربيع ويُبلى بهـا خصوصاً الاولاد في السن الخامس عشر فما دون . على انَّ الكبار ايضاً لا يسلمون من بلائها وكانت اعراضها ثقيلة عليهم في هذه الوافدة التي نشرت اجنحتها فوق مدينتنا وكان البعض من المرضى اذا شخَّصنا لهم المرض شكُّوا في تشخيصنا لاعتقادهم انهم أُصيبوا بهذا الداء في حداثتهم فما تلبث البثور ان تظهر على جلدهم فتريح الارتياب ويلوح لهم صدق حكمنا بكل وضوح . ومن ثمَّ بعد الحوادث المتعددة التي لحظناها يمكننا القول بان الحميراء التي تصيب شخصاً مرَّةً اولى لا تقيه من شرّها وقاية تامَّة في بقيَّة العمر كما كان مقرَّرًا في اذهان الخاصَّة والعامَّة لان المناعة بعد هذا الداء خفيفة ضعيفة . ومن غريب ما شاهدنا ان مريضاً انتكس بعد شفائهِ من اول اصابة بمدةٍ يسيرة

﴿ اعراض الحميراء ﴾ الحميراء من الحمّيات النفّاطيَّة فلها مثلها دور نظامي ذو اربعة اطوار : اوَّلها الحضانة (incubation) ثمَّ الهجوم (invasion) ثم الطفح (éruption) ثمَّ التفليس (desquamation)

ليست مدَّة (الحضانة) معلومة بالتدقيق والمرجَّح أنَّها تدوم من ثمانية أيَّام الى ١٢ يوماً فيشعر المصاب بانحراف في مزاجهِ وتوعُّك في صحة بدنهِ حتى اذا آن وقت (الهجوم) عُرفت تماماً اعراض الداء وتقرَّر التشخيص . وليس هجوم الحميراء باغتاً كما الجدري والحُمَّى القرمزيَّة (scarlatine) بل يبدأ ببعض قشعريرات مع وَصَب وتكسُّر في الجسم وفقد شهوة الاكل وصداع مع رُعاف في بعض الاحيان . لكنَّ الحمَّى معتدلة لا تتجاوز حرارتها من ٣٨,٥ الى ٣٩ درجة . ويُصاب في الوقت عينهِ غشاء الانف

والعيون بزكام وكذا غشاء الحلق والشُعب الصدرية : ويحدث في العيون احمرار وتدميع واذا كان الزكام في الانف راققهُ العطاس وسيلان مخاطي . واذا كان في الحلق رافقهُ سعال جافّ وبحّة في الصوت . واذا كان الالتهاب في الاذن وهو نادر احسّ المريض بوجع شديد في آذانهِ وسال القيح من صماخهِ . وما هذا الزكام الّا نتيجة تفشّي البثور التي تنتشر على الاغشية المذكورة قبل ان يظهر النقّاط على الجلد

ثم بعد الهجوم يأتي طور (الطفح) اي ظهور البثور على الجلد . وعندنا انّ الطورين الثاني والثالث لا يختلفان اذ ان هيجان الاغشية مسبّب من طلوع البثور التي تسبق في الاغشية لا سيّما غشاء الحلق قبل ان تطفح على الجلد فالاجدر ان يُوصف طور الهجوم بتسميتهِ طور الطفح الداخليّ او طفح الاغشية . ولذلك اذا اراد الطبيب ان يعلم اعراض الحميراء فما لهُ الّا ان يستدلّ عليها بفحص غشاء الحلق

وهذا الزكام الحلقيّ او بالحري طفح البثور في غشاء الحلق ربّما تفاقم حتى ينخدع بهِ الحكيم فيظنهُ التهاب الحنجرة او خناقًا الى ان يعلم بحقيقة الامر بعد اربعة او خمسة ايّام اذا نظر البثور النافطة على الجلد . ومن الاطبّاء من يعتبر ذلك التهابًا شعبيًا فيداوي المريض بالادوية المناسبة لذلك الى ان يكذّب العيان تشخيصهُ . وربّما حصل في بعض الاحوال التهاب في اغشية الاحشاء ويدوم ذلك مع حُمّى خفيفة الى ان يثور على الجلد فتزيد شدّة الحمّى منذرةً بظهور الطفح

(الطفح) اوّل ظهورهِ في الوجه ثم يلحق بالعنق وينزل الى الصدر وبقيّة الجسم . واذا امعن احد نظرهُ في البثور لا سيّما الخارج منها على الصدر او البطن وجدها على شبه نقّاطات صغيرة حمراء لدنة ليس فيها خشونة نقاطات الحمّى القرمزيّة ويراها متفاوتة الكبر واذا ضغط عليها باليد توارت وهذه البثور تتجمّع على شكل بُقع مختلفة الصورة وفي بعض الاحيان تتواصل النقّاطات ببعضها حتى يعمّ احمرارها كافّة الجلد

واذا ظهرت البثور على الجلد تخفّ في الاغشية وتأخذ بالاضمحلال فيضحي السعال طريًا والبصاق في الكبار يصير غليظًا وضاربًا الى الخضرة ويُسمَع لصوت الصدر صفيرٌ وشخيرٌ وخنّة . امّا الاطفال فكثيرًا ما يصيبهم إسهال وربّما افرزوا معهُ موادّ دمويّة او لزجة مخاطيّة

والبعض يعدّون التشنّجات من اعراض الحميراء في الاطفال الّا ان هذه التشنّجات

ليست من خواصّ الحميراء وهي تطرأ على الاطفال في كلّ ادوائهم فلا حاجة اذن لذكرها بصفة عرض خاصّ بالحميراء

وبعد ثلثة او اربعة أيّام لدور الطفح تسقط الحمّى ويكمد لون البقع فتصير شبيهة بلون القهوة الممزوجة باللبن ثمّ تتلاشى ويسقط من البثور قشور صغيرة الّا ان هذه القشور قليلة بحيث يجوز القول انّ دور (التفلّس) لا يُعبأ به . الّا ان سحنة الوجه والجبين تكون متقشرة

وممّا لحظناهُ في أيّام هذه الوافدة بعض اعراض تسمّم الدم والسبب امّا التسمّم البولي وامّا انتشار الجراثيم السامّة التي تنتجها اصول الحصبة المرَضيّة . ولسوء الحظّ كانت هذه الاصابات مميتة في اكثر الاحيان

﴿ العلاج والوقاية ﴾ ينبغي على المصاب بالحميراء ان يلزم الفراش ويحتمي من الطعام الّا الحليب وتكون غرفتهُ متساوية الحرارة ويغسل حلقهُ وفمهُ وانفهُ بغسول معاكس للعفونة . وهذا العلاج كافٍ لشفاء المريض اذا كانت الاصابة خفيفة فيمكنهُ ان يقوم بعد ثمانية أيّام في حجرته وبعد عشرة أيّام الى خمسة عشر يوماً يستطيع الخروج من الدار . وممّا يوصف للمصابين بالحميراء اذا قوي عليهم الداء الاستحمام بالماء الفاتر

امّا نحن اذا ما لحظنا امتلاء وريديًّا او احتقانًا في الاجهزة فلا نتردَّد في نزع الدم . وكلّما جرينا على ذلك وجدنا في العمل عاقبة محمودة . لا بل اذا حدث تسمّم في الدم لا نرى طريقةً اوفق من الفصد وان لزم الامر وخيف التهوُّر والانحطاط التجأ الطبيب الى الحقن بالمصل الصناعيّ على اثر الفصد . وهذه الطريقة لم تثبت فقط بالاختبار بل هي موافقة ايضاً للمبادئ العلميّة لأنَّ بالفصد يُستخرَج قسمٌ من الدم المتسمّم وبذلك يخفّ عمل السمّ فتقوى الطبيعة على مقاومة مفعولات الباقي منهُ وممّا يؤيد ذلك أنَّ العلماء دون استثناء يصفون نزع الدم في التسمّم البوليّ فلمَ لا يُنزَع ايضاً في التسمّم الدمويّ لأنَّ الغاية في الدائين واحدة وهي النجاة من عقبى السمّ . فلا بُدَّ اذن من اتخاذ الوسائط ذاتها

وما قلناهُ انمّا يصلح في الحميراء الاعتياديّة المعتدلة الشدّة كما تُرى في الغالب ولكن يحدث احيانًا التباكات فتظهر الحميراء في هيئات غير مألوفة او يرافقها نزيف الدم فتختلف اذ ذاك الحالة ويترتّب على الطبيب ان يهتمّ بكلٍّ من الارتباكات حسب اعراضها

﴿ اعراض الحميراء غير المعهودة ﴾ للحميراء هيئة غير معهودة تحدث غالباً للاطفال فاذا كان طور الهجوم حصل للمصاب تشنّجات وقيء وارتفاع في درجة الحرارة . امّا الطفح فيتأخر مدّةً ويكون غير كامل او غير ظاهر للعيان وتبقى الحمّى ويرمد الجلد فييبس ويكون النبض خفيفاً سريعاً جداً ويقلّ البول . واذا كان الداء على هذه الصورة ساءت عقباهُ فينتهي بالموت

وفي بعض الاحوال وهي لحسن الطالع نادرة الوقوع يجري الداء على مداه الى وقت الطفح فتحصل اذ ذاك اعراض غير مألوفة لحظناها في الوافدة الحديثة . فقد رأينا فتاة أُصيبت بحصبة عاديّة فلمّا صار الداء الى الزوال غلب عليها السبات وفقدان الشعور وكانت درجة الحرارة بالغة وخفقان القلب سريعاً وظهرت في الوجه بعض تشنّجات صرعيّة ممّا دلّ على تسمّم الدماغ فماتت الفتاة بعد قليل . وتكون الحصبة نزفيّة فيسيل الدم في الجلد وتحدث احمرارات مسبّبة من خروج الدم عن مجراهُ فتظهر في الجلد بُقع حمراء ارجوانيّة ان ضغطتها بالاصبع لا تتلاشى . وهذه البُقع تدوم الى ٨ و ١٠ أيام بعد الطفح . والحصبة اذا ظهرت مع هذه الاعراض كانت بلا شكّ اشدّ خطراً من الحصبة البسيطة . الّا انها ما دامت عوارضها منحصرة في الجلد لا تنذر بالموت . امّا اذا امتدّ تزيف الدم فكان منهُ رعاف او رشح الدم من الفم او من الرحم او من المثانة او من المعا فلا يلبث المريض ان يودّع الحياة مع ما يصاب به من التهوّر والاعراض التيفوسيّة

﴿ ارتباكات الحميراء ﴾ الحميراء خفيفة الوطأة اذا لم تعترضها تلبُّكات في اطوارها المختلفة . ومن التلبّكات التي تحدث خصوصاً في الصغار التشنّجات والتهاب الحنجرة الحادّ والرعاف . امّا التشنّجات فليست بخطرة اذا كانت وقتيّة لأنها كما سبق القول تعمّ كلّ امراض الاطفال ناتجةً عن تنبّه جهازهم العصبي . امّا اذا كانت هذه التشنّجات تحدث مع توعّكات واضطرابٍ في المراكز الدماغيّة فذلك دليل على انّ المرض من جنس الحميراء العصبيّة الوخيمة العقبى

ومن الاختلاطات التي يشترك فيها الصغار والكبار معاً الّا انّها شديدة الخطر في الاحداث نزلة الشُّعب مع ذات الرئة . وحدوثها يمكنهُ ان يكون في اليوم الثالث او الرابع من المرض اعني قبل طور الطفح لكنهُ في الغالب يجري نحو اليوم السادس او

السابع في وقت اشتداد طفح البثور . ويدلُّ على وقوع هذه النزلة مناوبة الحمَّى واشتداد حرّها وصعوبة التنفُّس المتزايدة . حتى انهُ لو بقيت اعراض الحميراء الى اليوم الثامن ولم تخفَّ الحمى بل تزيد حدَّةً والخراخر الشعبيَّة صارت ادق واشدَّ تواترًا فالخوف كلّ الخوف من هجوم النزلة الشعبيَّة الرئويَّة التي تذهب بارواح كثير من الاطفال . على انَّ هذه الارتباكات التي تكثر عند فشوّ الحميراء كانت قليلة في وافدة هذه السنة . وعلى خلاف ذلك قد لحظنا هذه المرَّة في كثير من الصغار نوبات عُسر التنفُّس وسعال كسعال الذُّبحة او الشهقة وبقيت هذه الاعراض مدَّةً بعد زوال المرض . وعندنا انَّ سببها احتقان في الغُدد اللمفاويَّة الشعبيَّة وذلك مما لوحظ مرارًا في الاطفال المصابين بالحصبة

امَّا ذات الرئة والبرسام فداءان يختصُّ بهما الكبار غالبًا . ومما يعرض للاحداث كما قلنا في طور الطفح الاسهال وهو عرضي لكنَّهُ اذا دام زمنًا وكان شديدًا ربَّما أدى بالطفل الى داء عضال شبيه بالهيضة . وقد لحظنا في اثناء الوافدة الحاليَّة ظهور الدوسانطريَّة مدَّة طويلة بعد شفاء المصابين بالحصبة . ولعلَّ السبب انَّ الطفح لمَّا تقحّم على الغشاء المعوي اعدَّهُ لقبول هذا الداء باستنبات مكروبه المعروف باسم اميباكولي (amœba coli)

امَّا التهاب الآذان فانهُ يلوح احيانًا منذ اوَّل الداء ويمكنهُ ان يتفاقم الى حدٍ بالغ فتنتج عنهُ النتائج السيّئة المنوطة بهِ . والغنغرينة ومثلها الخانوق وداء السلّ تظهر في بعض المواطن في اثر الحصبة

وان طلب احدٌ كيف تجري كلّ هذه الارتباكات بسبب الحميراء اجبنا انَّ تعليلها يمكن ان يورد على هذه الصفة وذلك انَّ الحصبة بما تحدثهُ من الالتهاب في الاغشية الداخليَّة تثير الجراثيم المرَضيَّة التي تعشّش غالبًا في تلك الاجهزة فتزيد شرَّتها وتجديها قوَّة مَرَضيَّة تلوح امَّا منفردةً بذاتها وامَّا لعلاقة خفيَّة بين غيرها من الميكروبات

﴿ العلاج ﴾ اذا كانت الحصبة بسيطة لم يتزج بها ارتباك فالاحرى الانتظار واتخاذ الوسائط الصحيَّة العاديَّة . امَّا اذا كانت مرتبكة فعلى الطبيب ان يعمل بفطنة وتروّي دون ان يبالي بما يسمعهُ من الاعتراضات من اهل المريض فانَّ للاقارب والاصحاب اوهامًا غريبة كثيرًا ما تعيق الطبيب في عملهِ . ومما يجب على الطبيب فعلهُ

ان يعالج كل واقعة بالعلاجات الخاصّة بها ولا حاجة الى تدوينها هنا لشيوعها . وعلى كلّ حال مهما قالـهُ بعض الحدثين من الاطبَّاء . لا بأس من نزع الدم اذا اشتدَّ الداء . وذلك امَّا بمشاريط الحجامة في النزلة الشعبيَّة الرئويَّة وامَّا بوضع العلق على المقعدة في الاحتقان المعويّ او على الخاصرة عند انسداد الكلى او خلف الآذان اذا خيف من التهاب امّ الدماغ او الاحتقان المخيّ . واخيرًا يُسرَع الى الفصد في التسمّم البولي او تسمّم الدم ايًّا كان .

نشرة أثريَّة

في تعريف بعض المطبوعات المستحدثة لبعض الآباء اليسوعيين

في نشرة اولى وصفنا المطبوعات التاريخيَّة المستحدثة التي أُرسلت الى ادارة المشرق . وها نحن ذا بنبذة ثانية نتوخّى فيها ما أُتحفنا بهِ من الاثريَّات . وان اعملنا النظر في هذه المصنَّفات الاثريَّة وجدنا أنَّ ترقّي الآثار ليس دون ترقّي العلوم التاريخيَّة

١ وما يدلُّ على ذلك كتاب حديث ألَّفهُ المسيو كرول ودعاهُ « العلوم الاثريَّة في الربع القرن الاخير (١) » وصف فيهِ المؤلف ما اصابتهُ الاثريَّات من النجاح والتقدُّم . وقد قسم كتابهُ الى ١٦ قسمًا وَكلَّ بوصف كل قسم منهـا احد مشاهير العلماء . امَّا الاقسام المذكورة فمنها العاديَّات والرسوم اليونانيَّة والحقوق السياسيَّة الرومانية وعيشة الاقدمين الاهليَّة والجغرافيَّة القديمة والفنون والصنائع والعلوم الفلكيَّة والرياضيَّة والميكانيكيَّة فكل كاتب يتتبَّع ما عُهد اليهِ من الابحاث فيبيّن ما وُجد من الاكتشافات وما وُضع من التآليف وما تقرَّر من المطالب والمباحث منذ السنة ١٨٧٥ الى ١٩٠٠ . وقد وجدنا هذه الدروس وافية جامعـة لشتات ما صُنف في كلّ مادَّة بحيث نرى الكتاب لازمًا لكل من يريد الاطّلاع على ترقّي المعارف القديمة في ايَّامنا . ولنـا مع ذلك عدَّة ملحوظات في هذا التأليف لا يمكنَّا السكوت عنها . منها انَّ المؤلف قد ادخل

١) وهو في الالمانية :
Kroll: Die Altertumswissenschaft im letzten Vierteljahrhundert, 1905, *Leipzig*, *Reisland*.

في جملة العلوم الاثريَّة ما يزيد الكتاب ضخماً دون فائدة كبرى فانهُ نظم في جملة الأثريَّات الآداب اليونانيَّة والرومانيَّة والعلوم اللغويَّة والفلسفة وكلّ ذلك لا علاقة لهُ مع الآثار الّا علاقة بعيدة . وممَّا نأخذهُ على صاحب الكتاب أنهُ لم يُحسن تنظيم الابواب فانَّ القارئ ينتقل من بحث الى آخر لا ارتباط بينهما البتَّة فانَّ فصل النحو في اللاتينيَّة يعقب الفقه الروماني وذكرَ الاداب اليونانيَّة في إثر الديانات القديمة . امَّا الآداب الرومانيَّة فانهُ جعلها بعد فصل المقاييس والموازين . ومن خلل هذا الكتاب طبعهُ فانهُ مرصوص رصًّا لا شيء فيهِ يساعد على مطالعته كما انَّ حروفهُ كلها متجانسة ليس بين الفصول وبين المتن والحواشي ادنى اختلاف . وكذلك الفهارس ليست بمستوفية . امَّا الآثار الشرقيَّة فانَّ كلامهُ فيها لا يروي غليلًا وقد كتب في ذلك حضرة الاب جلابرت فصولًا حسنة نشرتها مجلَّتنا في السنين السابقة فلتُطالع

٢ ومن الكتب الاثريَّة العموميَّة التي تلقَّيناها بمزيد الشوق تكملة تاريخ الصناعة العام لحضرة الاب البندكتي كُوهن (١ الذي سبق لنا تعريف مضامينهِ الواسعة ومنافعهِ المتعدّدة (المشرق ٨ : ٥٢٧) . وكل ما قلناهُ هناك عنهُ ما هو الّا عين الحقّ لانَّ صاحبهُ قد جعلهُ كتحف تتبَّع فيهِ قرنًا بعد قرن كل أطوار الصنائع والفنون الجليلة في كلّ اقطار اوربَّة مع ذكر المشاهير الذين سعوا في ترقيتها وما يمتاز كلّ منهم في طريقتهِ الصناعيَّة مع تعريف اعمالهم . وفي آخر كلّ فصل بيان الكتب التي راجعها المؤلف لتسطير كلّ قسم من كتابهِ . وكنَّا في تعريفنا لهذا التأليف قد بلغنا الى جزئهِ السادس والثلاثين وها قد اتانا منهُ جزءان جديدان يوافقان الاجزاء السابقة في كلّ خواصها الفريدة . امَّا مدار الجزء السابع والثلاثين فعلى حركة الصنائع والفنون في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر في هولندة وانكلترة وفرنسة وايطالية والمانية واسبانية . وقد قسَّم تاريخ تلك المدَّة الى قسمين دعا القسم الاوَّل طور البهرجة (Barocco, Rococo) نظم فيهِ اعمال ذلك العهد من نقش وتصوير وبناء وقد دعاها بهذا الاسم مقتفيًا آثار بعض المتقدمين قبلهُ كأنَّ مصنوعات ذلك الزمان كانت للزخرف الخارجيّ

---

١) وهو بالالمانية :
Dr P. Albert Kuhn o. s. B.: Allgemeine Kunst-Geschichte, 4° Benzinger et Cie, (37e und 38e Lief., 1904-5.)

اقرب منها للذوق الصحيح . ونحن لا نوافق حضرة المؤلف في ذلك فانَّ بين صَنَعة ذلك العهد رجالًا برّزوا في الصناعة وتركوا آثارًا تدلُّ على حسن ذوقهم منهم في فرنسة فقط مشاهير كيوسين وكليو ولوبرون ومنيار ولوسوار . فكان الاحرى ان يميّز بين قوم وقوم ولا يحكم في الجميع حكمًا واحدًا . امَّا القسم الثاني من اهل ذلك القرن فقد احسن المؤلف وصفهُ واصاب في تعريف خواصّه فانهُ طور التشبُّه بالقدماء (Classicisme) وترى منهُ امثالًا عديدة كبيعة مادلين في باريس وقوس الظفر فيها وكصورة المطعونين في يافا للبارون غرو . وفي الجزء الثامن والثلثين اتّسع المؤلف في تاريخ الصناعة في النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر من السنة ١٨١٥ الى ١٨٥٠ وهو يدعو هذا الطور بطور التشبُّه باليونان (Hellénisme) ثم طور التخيُّل الاستبدادي (Romantisme) وهذا الجزء قد بلغنا ونحن نكتب هذه الاسطر فاكتفينا بالاشارة اليه لأنَّ وصفهُ يستدعي كلامًا مسهبًا . وما يستحقُّ كلَّ ثناء في هذا التأليف مجموع التصاوير التي ضمَّنها كتابهُ لايضاح ما اراد وصفهُ وهذا الجزء وحدهُ يشتمل على ١٠٠ صورة في مطاوي الشروح وعلى ١٥ صورة خارجًا عنها . فنشكر الكاتب على حسن همّته ونتمنّى ان ينجز عملهُ قريبًا ليتخذهُ محبو الصناعة والفنون كدستور لدروسهم

٣ ومثل الكتاب السابق في موضوعهِ واتّساع موادّهِ تأليف المسيو ڤورمان في «تاريخ الصناعة في كلّ الازمنة وعند كل الامم» (١ . وهذا الكتاب في جلدين كبيرين يحتوي الاوَّل منهما تاريخ الفنون منذ اوَّل نشأتها الى ظهور النصرانيَّة وهو الجزء الذي اتمَّهُ المؤلف قبل خمس سنوات فنال الحظوى في العالم المتمدّن ليس فقط لدى العموم ولكن لدى الخواص ايضًا من اهل العلم ودارسي الفنون الجميلة فاثنوا عليه دون استثناء لما اودع الكتاب من الفوائد على طريقة قريبة المنال ذات اسلوب مدرسي

١) وهو ايضًا بالالمانيَّة :

Woermann (Karl): GESCHICHTE DER KUNST ALLER ZEITEN UND VOELKER. II Band. Die Kunst der christlichen Voelker bis zum Ende des XV Jahrhunderts. *Mit* 418 *Abbild. im Text,* 15 *Tafeln in Farbendruck und* 39 *Taf. in Holzschnitt u. Tonaetzung., Leipzig u. Wien. Verlag des bibliographischen Instituts,* 1905, gr. 8°, XVIII-720 S.

يسهّل مطالعتهُ هذا فضلًا عن حسن نظر المؤلف في انتقاد القدماء ومعارضة اعمالهم على بعضها. امَّا الجلد الثاني فقد نُشر آخرًا وهو يحتوي في ٧٢٠ صفحة تاريخ الصناعة الفنيَّة منذ الدعوة المسيحيَّة الى آخر القرن الخامس عشر وُعني صاحبهُ بوضعهِ بعد درس واصلهُ مدَّة خمس سنوات كاملة . وقد قسم هـذا الجزء الى خمسة اطوار مباشرة بقرون النصرانيَّة الاولى ثمَّ اوائل فاواسط فاواخر القرون المتوسّطة ثم القرن الخامس عشر. ولكلّ طور من هـذه الاطوار فصول متعددة حسب الازمنة والأمكنة واصناف الصنائع . ولعلَّ حبّ المؤلف للوضوح قد أضرَّ نوعًا بالنظر العام فانهُ بالغ في تقسيم الاجزاء بحيث ينسى القارئ شيئًا من ارتباطها. وعلى كلّ حال فانّنا نعدُّ هذا التأليف في مقدّمة الكتب التي نُشرت عن الصناعة فانَّ من يدقق النظر يتحقَّق ان صاحبهُ لم يهمل شيئًا ممَّا يزيدهُ نفعًا كالرسوم والنقوش والتصاوير. وكذلك عدد المطبوعات التي ينبغي مراجعتها لمن يريد التوسع في هذه الدروس لكنَّهُ نسي بعض التآليف التي لا غنى عنها للدارسين كتأليف برتو في صناعة ايطالية الجنوبيَّة وتأليف الجنرال دي بيليه في القتل البوزنطي وتآليف اخرى لشلومبرجر وغابه وغيرهم نجد جدولهم في كتاب المسيو ريناخ المعنون «افولون» (Apollo, *Hachette*, 1905) وكذلك كنَّا نودُّ لو افاض المؤلف في بيان اصول الصناعة المسيحيَّة والبوزنطيَّة في الشرق . وما يُقال اجمالًا ان الصناعة الشرقيَّة في هذا التأليف قليلة الاتساع وهو لعمري خلل لا بدَّ من سدّهِ في طبعة اخرى وكذلك يُقتضى عليهِ افراد فصل للصناعة الفرنجيَّة في انحاء الشام وفلسطين في القرون المتوسطة . فبكل هذه الابواب تتضاعف قيمة تأليف المسيو ڤورمان ونحن نؤمل قرب صدور الجلد الاخير الذي بهِ ينجز هذا العمل الجليل

*

وان انتقلنا بعـد وصف الكتب الاثريَّة العموميَّة الى التآليف الخصوصيَّة في آثار بعض البلدان وجدنا انَّ الكتب في عاديَّات مصر تزيد يومًا بعـد يوم . وهذه بعض هدايا أرسلت الى ادارة المشرق في ذلك

٤ والاوَّل منها لاحد علماء بلجكة المسيو جان كپار الذي عرف القرَّاء فضلهُ في درس الآثار المصريَّة (اطلب المشرق ٧ : ١١٦٠) وها هوذا اتحفنـا بكتابين في

اصول الفن الشرقي (١ . وفيهما خلاصة الدروس التي القاها هذا الاستاذ في المكتب الاثري والفنيّ الذي انشأتهُ الدولة البلجكيَّة منذ عهد قريب وهي قد اختارت لتدريس هذه العلوم نخبةً من الرجال الذين اشتهروا بتآليفهم وسموّ مداركهم كالاب ڤان دن غان (Van den Gheyn) اليسوعي من جمعيَّة الكتبة البولنديين وناظر مخطوطات المكتبة الملكيَّة . ومضمون الكتابين اللذين نحن بصددهما تاريخ اصول الصنائع والفنون في مصر اوَّلًا ثمَّ في بقيَّة البلاد الشرقيَّة كبابل واشور والعجم وسورية عند الحثّيين وفينيقية وقبرس وفلسطين وتدمر والجزيرة وافريقية . وان قيل كيف امكن المؤلف ان يبحث في كلّ هذه المواد في كتابين صغيرين اجبنا انَّ التأليف كدستور مدرسيّ يُجعل في ايدي الطلبة فيدلّهم على الطريق وشُعَبها المختلفة فيبقى على المعلّم ان يتّسع في شرح كلّ مادَّة . وهو افضل ما يعتمد عليه لدرس اصول الفنون في الشرق ولذلك قد اتّخذناهُ لطلّاب مكتبنا الشرقي . وناهيك بذلك تنويهًا بفضلهِ ومن احبَّ ان ينال منهُ نسخةً مجانًا فليطلبها من بروكسل بهذا العنوان M^r Peteau, 3, *Impasse du Parc, Bruxelles* (لهُ بقيَّة)

صُبح الاعشى للقلقشندي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ عمدة الكتبخانة الخديويَّة لم تكتفِ على مثال غيرها من الكاتب بان تنشر فهارس مخطوطاتها ومطبوعاتها بل أَحبَّت ايضًا ان تستخرج من دفائن كنوزها بعض الجواهر اليتيمة لتنفقها على الخير العام . والفضل في ذلك خصوصًا لناظر المكتبة السابق الدكتور ر. ڤولرس ثمَّ لخلفهِ في عملهِ الدكتور العلّامة ب. مورتس ولوكيل الكتبخانة السيّد الفاضل محمّد البيلاوي . ومما اجادوا بنشرهِ فاستحقّوا شكر الادباء شرقًا وغربًا

١) وهذا اسمها :

J. CAPART : **Les origines de l'art et l'art oriental.** I. Les origines de l'art et l'art égyptien, 62 p., 8°, 1903-4 (Résumé du Cours). II. L'art oriental hors d'Egypte, 72 p. 1904-5 (Résumé du Cours.) *Bruxelles, Polleunis et Ceuterick.*

· جزءان من كتاب الانتصار لابن دقماق في وصف مصر وكتاب بدائع الزهور لابن اياس وكتاب التحفة السنيّة لابن الجيعان وكتاب تاريخ الفيوم وبلاده لابي عثمان النابلسي · فهذه الكتب وغيرها كانت دليلًا ناطقًا وشاهدًا صادقًا على ما تحويه الكتبخانة الخديوية من المصنّفات العزيزة والآثار الجليلة كما انها دلّت على حسن ذوق العمدة التي تولّت نشرها واحيت معالمها

وممّا وجّهت انظارها لاستخراجه من زوايا النسيان كتابٌ واسع المادّة شامل الافادة او بالحري بحرٌ بعيد الغور كثير الدراري ألا وهو كتاب صبح الاعشى للشيخ ابن العبّاس احمد القلقشندي الذي تجزّت لطبعه منذ ثلاث سنوات في المطبعة الاميريّة الكبرى ببولاق مصر وها قد انجزت منهُ جزءه الاوّل وهو عبارة عن جلد ضخم ذي ٥٧٦ صفحة · ولمّا كان هذا الكتاب معتبرًا ذا شأن خطير رأينا ان نفرد لهُ فصلًا لوصف مضامينه ولتعريف صاحبه وبيان خواص الطبعة التي نحن بصددها

﴿ المؤلف ﴾ انّنا لا نعلم الّا النزر القليل عن صاحب كتاب ضوء الاعشى وجلّ ما امكنّا الوقوف عليه بعض الفوائد تجدها متفرّقة في كتاب الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للسخاوي وفي إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني وفي بعض التواريخ المتأخرة نرويها هنا مع قلّتها : هو الامام العلّامة جامع أشتات الفنون شهاب الدين ابو العبّاس احمد بن عليّ بن احمد شهاب الدين القلقشندي الشهير بابن ابي غدة · ويُروى نسبهُ ابو العبّاس احمد بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سليمان ابن اسمعيل · ولد سنة ٧٥٦ ﻫ (١٣٥٥م) · وكان مولدهُ في قَلْقَشَنْدَة · وقد نبّه السيوطيّ في حسن المحاضرة انّ اللام فيها تبدل راء فيقال قَرْقَشنده · وقلقشنده هذه تابعة لعمل قليوب · وقد ذكرها المؤلف في وصف مصر حيث قال : (ص٨٩٣ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) : « قلت ومن بلادها (يريد القليوبيّة) بلدتنا قلقشندة وهي بلدة حسنة المنظر عزيزة الفواكه ... قال ابن خلكان وهي على ثلث فراسخ من القاهرة وهي بلدة حسنة المنظر كثيرة البساتين غزيرة الفواكه »

وكان القلقشندي من اسرة فاضلة عُرفت بآدابها اشتهر منها قوم من الادباء والفقهاء كانوا في عهده او قريبًا منهُ كشمس الدين اسمعيل بن علي تقيّ الدين القلقشندي الذي ولد في مصر سنة ٧٠٢ (١٣٠٢م) وتولّى التدريس في القدس

الشريف سنة ٧٤٠ (١٣٣٩م) ومات سنة ٧٧٨ (١٣٧٦م) . والظاهر انَّ اسمعيل كان اخًا لمؤلفنا . واشتهر من بعد اسمعيل ابنـهُ ابو عبدالله زين الدين محمَّد ابن اسمعيل شمس الدين القلقشندي (٧٤٠–٨٠٩ هـ ١٣٣٩–١٤٠٦م) وحفيدهُ عبد الرحيم بن محمَّد زين الدين القلقشندي المتوفّى سنـة ٨٢٦هـ (١٤٢٣م) . ومن هذه الاسرة ايضًا علاء الدين علي بن احمد ابن اسمعيل القلقشندي احد ائمَّة فقهاء الشافعيَّة في مصر وُلد في ذي الحجَّة سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) وتولَّى عدَّة تدريسات ورُشّح لقضاء الديار المصريَّة ومات في محرَّم سنة ٨٥٦ (١٤٥٢م) . وكان والد المؤلف من العلماء لهُ تأليف في انساب العرب دعاهُ قلائد الجمان في التعريف بقبائل العربان ونشأ ابنهُ ابو العبَّاس على الآداب ثم انتقل الى مصر ودخـل في ديوان الكتابة فاصاب تقدمًا عظيمًا واحرز صناعة الانشاء ومتعلقاتها . وتراهُ في تآليفه ينتقد على بعض الكتبة شأن من لا يجهل شيئًا من اسرار الأدب واطَّلع على مجهولات الفنون والمعارف وكان ممتازًا في علم الانساب . ولا نعلم أتقلَّب في الرُتب او اشتهر في غير الكتابة . وانَّما نعرف انهُ كان على مذهب الشافعي وانهُ توفي في ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة سنـة ٨٢١ (١٤١٨م)

﴿ تآليفـهُ ﴾ لابي العبَّاس القلقشندي عدَّة تآليف واكبرها صُبح الاعشى الذي سيأتي القول فيه . ولهُ ايضًا كتاب واسع في القبائل العربيَّة وانسابها دعاهُ نهاية الادب في معرفة قبائل العرب زاد فيـه على كتاب والده وجعلهُ على مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة ورتَّب كل قبيلة على حروف المعجم . وقد ألفهُ سنـة ٨١٢ (١٤٠٩م) للامير ابي الجود بقر بن راشد . ومن هذا الكتاب نسخٌ في برلين ولندن وفي اوَّلـه ابحاث جليلة في فضل علم النسب وطبقات القبائل واصلهـا ومساكنها ودياناتها وأيامها ونيرانها واسواقها . ومن هذا الكتاب اقتطف ابو الفوز محمَّد امين السويدي كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب الذي طُبع في بغداد على الحجر سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣م) ثمَّ في بُمبي سنـة ١٢٩٦ (١٨٧٩م) وقسمهُ الى ثلثة عشر بابًا . ولابي العبَّاس كتاب آخر في انساب القبائل العربيَّة وذكر فيه القبائل كما كانت في زمانه وضعهُ للقاضي الناصريّ ابي المعالي محمَّد البارزي المؤيدي صاحب دواوين الانشاء (٧٦٧–٨٢٣هـ (١٣٦٥ – ١٤٢٠م) وقد دعـاهُ كتأليف والده قلائد الجمان في التعريف

بقبائل عرب الزمان منهُ نسختان في برلين ولندن . وهو كتاب قد اختصرهُ السيوطي ومن اختصاره نسخة في برلين . ومن انشاء ابي العبّاس القلقشندي كتاب يُدعى « حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم » منهُ نسخة في المكتبة الخديويَّة في بعض مجاميعها (٧ : ٥٥٤) . وذلك فضلًا عن بعض القصائد الدينيَّة التي تدلّ على حسن نظمهِ .

﴿ تعريف صبح الاعشى ﴾ هو مصنَّف كبير ينيف على ألفي صفحة وقد ذكر صاحبهُ في المقدّمة انهُ في حدود سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩م) لمّا استقرّ في كتابة الانشاء بالابواب الشريفة انشأ مقامةً في تفضيل كتابة الانشاء على ما سواها ونبّه الى ما يحتاج اليهِ كاتب الانشاء من الموادّ وضمّنها من اصول الصنعة ما أربت بهِ على المطوّلات واودعها من قوانين الكتابة ما استولت بهِ على جميع مقاصدها فاشار اليهِ بعض الرؤساء بان يتبعها بمصنَّف مبسوط يشتمل على اصول هذه الصناعة وقواعدها فامتثل امرهُ بالسمع والطاعة . قال (ص ٦) :

« فشرعتُ في ذلك بعد ان استخرتُ الله تعالى وما خاب من استخار . وراجعت اهل المشورة وما ندم من استشار . مستوعبًا من المصطلح ما اشتمل عليهِ التعريف (١ والتثقيف (٢ . موضحًا لما اجماهُ بتبيين الامثلة مع قرب المأخذ وحسن التأليف . متبرّعًا بامور زائدة . على المصطلح الشريف . لا يسع الكاتب جهلها . متنقلًا من توجيه المقاصد وتبيين الشواهد بما يُعرف بهِ فرع كل قضيَّة واصلها . آتيًا من معالم الكتابة بكل معنًى غريب . ناقلًا الناظر في هذا المصنَّف عن رتبة ان يسأل فلا يُجاب الى رُتبة ان يُسأل فيُجيب . منبّهًا على ما يحتاج اليهِ الكاتب من الفنون التي يخرج بمعرفتها عن عهدة الكتابة ودركها . ذاكرًا من احوال الممالك المكاتبة عن هذه المملكة ما يُعرف بهِ قدر كلّ مملكة وملكها . مبينًا جهة قاعدتها التي (فيها) محلّ الملك شرقًا او غربًا او جنوبًا او شمالًا . معرّفًا الطرق الموصل اليها برًّا وبحرًا وانقطاعًا واتصالًا . ذاكرًا مع كل قاعدة مشاهير بلدانها اكمالًا للتعريف . ضابطًا لاسمائها بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف . وسمّيتهُ « صبح الاعشى . في كتابة الانشا » . . . »

والحقّ يقال انَّ هذا التأليف اوسع واجمع ما كتب في فنّ الكتابة وموادّها .

---

١) يريد كتاب التعريف بالمصطلح الشريف لابي العبّاس احمد بن يحيى العُمري المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م)

٢) هو كتاب اكثر القلقشندي من الاستشهاد بهِ صاحبهُ القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش وهو ايضًا في صناعة الكتابة

قال الحاج خلفا في كشف الظنون : «علّهُ كبير في صناعة الانشاء لا يغادر صاحبهُ صغيرة ولا كبيرة الّا ذكرها» . ولو اردنا تشبيههُ بكتاب عصري لقلنا انـهُ اشبه بدائرة معارف زمانه اودعهُ القلقشندي زُبدة كلّ العلوم المعروفة في عهدهِ من العلوم اللسانيّة والاصطلاحات الكتابيّة والمعارف التاريخيّة والاوصاف الجغرافيّة وعلوم الهيئة والنبات والحيوان والمعادن والعادات والانساب والآلات الحربيّة والموسيقيّة وشارات المملكة والاعياد الى فنون شتّى يطول ذكر اسمائها فضلًا عن مضموناتها . وقد قسم الكتاب الى عشر مقالات مع مقدّمة وخاتمة . والمقدّمة وحدها بمثابة كتاب واسع تتضمّن ابوابًا شتّى في مبادئ كتابة الانشاء كفضل الكتابة ومدلولها وانواعهـا وكصفات الكتّاب وآدابهم وكتاريخ ديوان الانشاء ودوائرهِ وقوانينهِ . تليها المقالة الاولى فيما يحتاج اليـهِ الكاتب من الامور العلميّة كعلوم اللغة والبيان والبديع والاحاديث والخطب والاشعار والامثال والتاريخ والانساب ومعرفة الازمنة . ومن الامور العمليّة واخصّها الخطّ . وفي المقالة الثانية ذكر المسالك والممالك ووصف الارض اجمالًا وافرادًا . وفي الثالثة ما تشترك فيهِ المكاتبات والولايات كالاسماء والالقاب واصناف الورق وفواتح الرسالات وخواتمها ولواحقها . وبقيّة المقالات في اصناف المكاتبات بين السلاطين والملوك وتقليد الولايات والعهود والاقطاعات والامانات والعقود والمهادنات وغير ذلك . لمّا الخاتمة ففيها كلام عن الامور التي تتعلّق بديوان الانشاء غير امور الكتابة كالبريد وحمام الرسائل ومراكب الثلج الواصلة من بلاد الشام والمناور والمحرقات

هذا نظر اجماليّ عن مضامين الكتاب بل قطرة من بحر ولو اردنا ذكر كلّ فصل وحدهُ لاقتضى الامر نحو مئة صفحة . ومن هذا الملخّص ترى أنّ المؤلف لم يمكنهُ ان يكتب في كلّ هذه المواد المتباينة لولا انـهُ استعان بمكتبة واسعة عديدة المصنّفات متنئّنة المواضيع كالخزانة التي نقلنا وصفها السنة المنصرمة عن كتاب القزويني (المشرق ٨ : ٩٣٦) . ولو تتبّعنا هذا التأليف مقالةً مقالـةً وفصلًا فصلًا لأمكنّا ان ندلّ الى المصادر التي اخذ عنها . ولعلَّهُ نقلها في بعض الاحيان على علّاتها دون نقدها وتمحيصها

وممّا نأخذ على القلقشندي كثرة تقاسيم كتابهِ فانـهُ قد بالغ في تشريح مواضيعهِ الى حدّ غريب يضيع فيهِ القارئ قبل ان يعرف طريقتهُ في تقسيم فصولهِ نترى لهُ فضلًا عن المقالات والاجزاء والاقسـام والابواب والفصول انواعًا وضروبًا وأصولًا ومقاصد

واموراً واصنافاً واغراضاً وانظاراً ومعاني ومدارك وآلات ومهايع وجملاً وطرفاً وغير ذلك من الاقسام التي لا يمكن ضبطها وادراك روابطها ويملّ منها القارئ

وكذلك لا نجد في نقل بعض العلوم التي رواها المؤلف افادةً كبيرةً للكاتب اللهمَّ الّا بعيدة. ومنها ما هو لتفكهة الالباب اجدر منهُ لتثقيف الكتّاب. ومن هذه العلوم ما كان حقُّهُ ان يُذكر فضرب عنهُ المؤلف صفحاً كعلم المنطق وتعريف حقوق الامم. وبياناً لطريقة المؤلف ننقل فصلاً من اقوالهِ كمثال للقرّاء. وهو قولهُ في ما يحتاج الكاتب الى وصفهِ من نفائس الاحجار (ص ٣٤٠)

« ويحتاج الكاتب اليـهِ من وجهين أحدهما من حيث مخالطة الملوك فلا بدّ أن يكون عارفاً بصفات الجواهر وأثمانها والنفيس منها وخواصّها لانهُ ربما جرى ذكر شيء من ذلك بحضرة ملكه فتكون مشاركته فيه زيادة في رفعة محله وعلوّ مقداره وهذا هو الذي عوّل عليه صاحب مواد البيان في احتياج الكاتب الى ذلك. والثاني ان يحتاج الى وصف شيء من ذلك مع هدية تصدر عن ملكه أو هدية تصل اليه مع ما يحتاج اليـه من ذلك بمعرفة التشبيهات والاستعارات التي هي عمود البلاغة فمن لم يكن عارفاً بأوصاف الاحجار ونفائس الجواهر لا يحسن التمييز عنها ألا ترى الى تشبيهات ابن المعتز ووصفه للجواهر كيف تقع في غاية الحسن وغاية الكمال لمعرفته بالمشاهدة فهو يقول عن علم ويتكلّم عن معرفة وليس الخبر كالمعاينة وقد اعتنى الناس بالتصنيف في الاحجار في القديم والحديث فممّن صنف فيه في القديم من حكماء الفلاسفة ارسطوطاليس وبلينوس وياقوس (؟) الانطاكي. وممّن صنف فيـهِ من الاسلاميين أحمد بن أبي خالد المعروف بابن الجزار ويعقوب بن اسحاق الكندي وغيرهما وأحسن مصنف فيـه مصنف أبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي والذي يتعلق الغرض منهُ بذلك اثنا عشر صنفاً »

ثمَّ يفرد الكاتب فصلاً لكل جوهر مباشرةً باللؤلؤ ثم الياقوت وآخرهُ البادزهر. ويلحق هذا الفصل بفصل آخر جليل في انواع الطيوب

﴿ نُسخ الكتاب وطبعتهُ ﴾ انَّ كتاب صُبح الاعشى مع غزارة مادّتهِ ووفرة فوائدهِ كاد يضيع بنوائب الدهر. وغاية ما يوجد منهُ نسخة واحدة فريدة تُرى متفرّقة في عدَّة مكاتب فانَّ اقسامها مصونة في خزانتي اكسفرد وكمبردج في انكلترة وفي المكتبة الخديويَّة في مصر. وهذه المقالات العشر مكتوبة في سبعة اجزاء وكلّ جزء في جلد منفرد. وفي مكتبتنا الشرقيَّة منـهُ نسخة مستحدثة تحتوي اقساماً كبيرة من صُبح الاعشى في مجلّدين ضخمين بخطّ الاديب الفاضل المرحوم رزق الله حسّون

الحلبي قد اتقن كتابتهما اتقاناً عجيباً على ورق محلّى بذهب ولم يذكر النسخة التي نقل عنها ولعلّها النسخة المصريّة . واوّل هذين المجلّدين مقالة الخطّ وهي طرفة جليلة ضمّنها القلقشندي فصولاً واسعة في الخطّ العربيّ واصوله وقواعده . وهي اضبط واكمل ما وجدنا في هذا المعنى وعنها نقلنا نبذاً عديدة ابتداءً في المشرق ومن هذه النسخة ايضاً اقتطف حضرة الاب لامنس فصل المكاتبة الرسميّة بين الاحبار الرومانيين واصحاب مصر (المشرق ٥ : ٢٠٦) ونشر في مجلّة الشرق المسيحي المكاتبات بينهم وملوك فرنجة . وكذلك دوّن في المشرق (٤ : ٤٠٦ ; ٤٤٦) وصفهُ للصين وعنهُ اخذنا فصل شعار الممالك الاسلاميّة (٣ : ٣١٠) . امّا المستشرقون فقد عرفوا ايضاً قدر كتاب صبح الاعشى ونقلوا عنهُ فانّ وستنفلد الشهير بطبوعاته الشرقيّة ترجم الى الالمانيّة وصف القلقشندي لمصر واعمالها (١ . وكذلك المستشرق سوڤار (Sauvaire) ترجم الى الفرنسويّة بعض فصول صبح الاعشى ونشرها في مجلّة محفل مرسيلية سنة ١٨٨٦ و ١٨٨٧ . والظاهر من بعض فصول الكتاب انّ القلقشندي انتهى من تأليف كتابهِ بعد سنة ٨١٥ (١٤١٢م) لانهُ يذكر في تاريخ اصحاب مصر الملك المؤيد ابا النصر شيخ الذي تولّى الامر في تلك السنة . وقد اختصرهُ بنفسهِ بعد ذلك في كتاب دعاهُ ضوء صبح المسفر ضمّنهُ لباب مباحثهِ منهُ نسخة في المكتبة الخديويّة عُني بنشرها آخراً جناب الاديب محمود افندي سلامه فطبعها في مطبعة الواعظ بدرب الجماميز في مصر . وفي نيّتهِ ان يلحق طبعتهُ بفهرس فنعم ما يفعل

امّا الطبعة الكاملة التي عليها مبنى هذا النظر فانّ اصحابها حفظهم الله لمّا عوّلوا على نشرها ارسلوا فاخذوا بالتصوير رسوم الاجزاء التي في المكاتب الاوربيّة . وهذا الجزء الاوّل الذي نجز طبعهُ ليس منهُ نسخة الّا في مكتبة اكسفرد وهي سقيمة عُني بتصحيحها وتحريرها الادباء الذين عُنوا بابرازها . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً بحرف مطبعة بولاق الشهيرة على ورق نظيف . والنصّ في الغالب خالٍ من الاغلاط الطبعيّة قد اجتهد متولو طبعهِ في معارضتهِ على كتب اخرى واصول اعتمد عليها المؤلف في

١) واسم كتابهِ :
F. Wüstenfeld: *Die Geographie und Verwaltung von Aegypten nach...el-Calcaschandi*,. Goettingen, 1876

تأليفه . على أنّا وجدنا في هذه الطبعة بعض شوائب نودّ لو يمكن تلافيها في الجزء الثاني . أولها من جهة صفّ الحروف فان كثيرًا من الالفاظ مرصوصة لا يُفرّق بعضها عن بعض فتصعب قراءتها مع دقّة حروفها . وثانيها من جهة الضبط فان المؤلف في نسخته الاصليّة كما اشار اليه في المقدّمة ضبط كثيرًا من الالفاظ والأعلام بالشكل دفعًا للالتباس وفي هذه الطبعة لا نجد اثرًا للشكل البتّة وهو خللٌ كبير في الطبع . وثالثها من جهة الحواشي فانّها قليلة جدًّا لا يُعبأ بها يقتصر الطابع في اكثرها على قوله « كذا في الاصل » مع انّ اشياء كثيرة تستدعي ملحوظات وشروحًا وتقتضي اصلاحات . وفي ذيل الصفحة ٤٦٨ حاشية تُصلح قول المؤلف الذي نسب للاخطل بيتًا ليس هو له وهو قوله :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

فزعم صاحب الحاشية انّ متولّي ديوان الاخطل في الصفحة ٣٣٨ ردّ البيت لصاحبه المتوكل الليثي . والصواب انّ حضرة الاب صالحاني هنالك روى الرواية على علّاتها وانّما جزم في الحاشية مع صاحب خزانة الادب (٣: ٦١٨) انّ البيت من قصيدة شهيرة لابي الاسود الدؤلي . وقد وقعت ايضًا بعض اغلاط يمكنُ اصلاحها في آخر الكتاب كقوله (ص ٢٤٨ س ٢٣) « في عام الزيادة » والصواب « الرمادة » . وقولهُ (ص٣٥٤ س ٤) : « الطغرغز » والصواب « الطغزغز » او التغزغز كما ورد في كلّ الكتب الجغرافيّة . وقوله (ص٥٣٧ س ٢٢) : « تفرّقت عليهم السنة الناس » والصواب « السنة النار » . وقوله (ص ٥٤٠ س ٢٢, ٢٧, ٢٨) : « عيد فيلبس . . سيورس . . بزاره » يريد « فيلبس . . سويروس . . . برباره » . وقولهُ في بعض اعياد اليهود (ص ٥٤٤ س ١٨) : « عيد الفوز » والصواب « الفور » ويدعونهُ ايضًا « البوريم » . وقولهُ (ص٥٥٤ س ١٠) : « عرقي البيض » وهو « العرقيّ » واغلاط اخرى غيرها . وممّا نطلبهُ من لطف متولي طبعة القلقشندي ان لا يحرمونا في آخره من الفهارس وان يلحقوه ايضًا بعض الملحقات المفيدة كتعريف المؤلف وبيان الاصول التي اعتمد عليها في كلّ جزء . فان هذه الملحقات وغيرها لمّا يزيد الكتاب قدرًا ويكسب ناشريه شكرًا

عيد العنصرة وتعاليمهُ

نبذة ليتورجيَّة لاهوتيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ سياق الاعياد السنويَّة يؤدي بنا قريباً الى موسم عظيم يُعدّ من اكبر الحفلات الدينيَّة وكخاتمة الاعياد الكنسيَّة التي تبتدئ بميلاد الرب لاسمهِ السجود ثمَّ تتعاقب بذكر حياتهِ وآلامهِ وموتهِ عزَّ وجلَّ وتنتهي بافراح قيامتهِ المجيدة وحلول الروح القدس وكان اوصى بهِ يوم صعودهِ الى السماء رسلهُ الذين اصطفاهم قائلاً (اعمال ١: ٢—٧): «لا تبرحوا من اورشليم بل انتظروا موعد الاب الذي سمعتموهُ منّي ... ستنالون قوَّة روح القدس الذي يحلُّ عليكم فتكونون لي شهوداً في اورشليم . والى اقصى الارض» . فبهذا القول وبآيات عديدة وردت في الانجيل الطاهر يظهر جليّاً انَّ السيد المسيح لم يعتبر بعد عملهُ تامّاً على الارض ريثما ينزل الروح القدس ويخصب ذلك الزرع الصالح الذي بذرهُ في قلوب البشر . ولذلك كثيراً ما كان يردّد على مسامع تلاميذهِ قولهُ (يوحنا ١٦: ٧—١٣) : الحقَّ اقول لكم انَّ في انطلاقي خيراً لكم لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزي ولكن اذا مضيتُ ارسلتهُ لكم ... ومتى جاء ذاك الروح الحقّ فهو يرشدكم الى جميع الحق» . وقد عرفت الكنيسة عظم هذه النعمة ولهذا السبب قد جعلت عيد العنصرة في جملة اعيادها الحافلة التي تستعدُّ لها بالصوم وتقيم لهـا حفلات تدوم ثمانية ايام متوالية . وها نحن نجمع هنا ما يختص بهذا اليوم الشريف ونذكّر القرَّاء بالتعاليم المنوطة بهِ

﴿ اصل هذا العيد ﴾ انَّ عيد العنصرة سبق العهد الجديد فانَّ الله تبارك وتعالى كان اوصى شعبهُ على لسان موسى النبي باقامتهِ . وفي التوراة انهُ احد الاعياد الثلثة التي كان ينبغي فيها على كلّ ذكر ان يحضر امام الرب وهي عيد الفصح وعيد العنصرة وعيد الظلال . وكان موقع هذا العيد بعد ثاني الفصح بسبعة اسابيع وهو يوم الخمسين من العيد . وقد فرض الله على شعبهِ ان يقدّم لهُ في ذلك اليوم القرابين والضحايا وخصوصاً بواكير غلاتهِ اقراراً بملكهِ تعالى المطلق عليـهِ وعلى كل ما لهُ . وكانوا ايضاً يعظمون في هذا اليوم ذكر الوصايا التي اعلن بها الله على طور سينا بالبرق والرعد

وقد اختار السيّد المسيح هذا اليوم عينهُ ليرسل لتلاميذهِ روحهُ القدُّوس كأنَّهُ اراد بذلك الغاء العهد القديم واقامة العهد الجديد كما يزول الرمز بظهور المرموز عنهُ ويضمحلّ الخيال بنور الحقيقة . وقد اعتادت الكنيسة منذ البدء ان تحتفل بهِ كاحتفالها بعيد الفصح عينهِ لما يوجد من العلاقة بين العيدين ومن ثمَّ لكليهما السبق على بقيَّة الاعيـاد البيعيَّة ترى كل الكنائس شرقاً وغرباً تقدّمهما على جميع اعيادها السنويَّة

﴿ اسماؤُهُ ﴾ لعيد العنصرة اسماء متعدّدة اشهرها يوم الخمسين او عيد الخمسين وهو اسم اشترك فيهِ اليهود والنصارى (١ فقال اليهود « همشيم » (החמשים) ومثلهُ عندهم عيد الاسابيع . امَّا النصارى فقد استعاروا هذا الاسم من اليونانية وقالوا عيد الفنطيقسطي او البنديقسطي وهو بالرومية (Πεντηκοστή) اي اليوم الخمسون(٢ وقد دعاهُ ايضاً اليهود عيد الحصاد او عيد البواكير لما حُتم عليهم من تقدمتها في ذلك اليوم . ودعوهُ عيد الخطاب يريدون خطاب الله لموسى الكليم ولبني اسرائيل في طور سينا . وقال القلقشندي في صبح الاعشى : « والاسابيع حجّ من حجوجهم وحجوجهم ثلثة الاسابيع والفطير والمظلّة وهم يعظّمونهُ ويأكلون فيهِ القطائف ويتفنّنون في عملها ويجعلونها بدلًا من المنّ الذي انزل الله عليهم في هذا اليوم . ويسمَّى هذا العيد ايضاً عشرتا ومعناهُ الاجتماع » . وفي قولهِ « عشرتا » نظرٌ والمرجَّح انهُ اراد « عصرتا » من العبرانية (עצרתא) وهي بمعنى الاحتفال والاحتشاد ومنها ([illegible]) في السريانيَّة واسم العنصرة بالعربية . أُريد بهِ اوَّلًا كل احتفال كبير ثمَّ خُصِص بهذا العيد وهو الاسم الشائع اليوم عند نصارى الشرق . امَّا نصارى الغرب فانَّ اسم العيد عندهم عيد الخمسين

---

١) قال القلقشندي في صبح الأعشى (ص٥٢٧) عن خامس اعياد الاقباط : « الخامس عيد الخميس (ونظن ان هذا تصحيف والصواب : عيد الخمسين) وهو عيد العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من القيام وهو في السادس والعشرين من بشنس ويقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ وتفرَّقت عليهم السنة الناس (النار) فتكلموا بجميع الالسنة وذهب كل واحد منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم بهِ يدعوهم الى دين المسيح »

٢) وفي اوائل الكنيسة كان هذا الاسم يعمُّ كلَّ الزمان الواقع بين عيد الفصح وعيد العنصرة فكانوا يدعون كل يومٍ منها باسم يوم الخمسين كما يشهد على ذلك المعلم ترتليانوس ثمَّ خصُّوا بهِ اليوم الاخير من الخمسين

(Pentecôte) اشتقوهُ من اليونانيَّة . ولهم ايضًا فيهِ اسماء اخرى فربَّما دعوهُ باسم « عيد الروح القدس » و « مجيء الروح القدس » و « بعثة الروح القدس » لحلول هذا الروح على التلاميذ . ودعوهُ فصح الورد (Pascha rosatum) والاحد الورديّ امَّا لوقوعهِ في فصل الربيع حيث يكثر الورد وامَّا لانهم كانوا يزينون الهياكل بالورد وينثرون هذا الزهر على رؤوس الشعب

﴿ طقوس هذا العيد ورتبهُ ﴾ لعيد العنصرة رتبٌ خاصَّة تدلُّ كلُّها على مقام هذا الموسم ورفعة شأنهِ في البيعة المقدَّسة . وكان النصارى الاوَّلون الى القرن الرابع يضمُّون اليهِ عيد صعود الرب كما تشهد على ذلك الرحلة المنسوبة للقديسة سلفيَّة (١ ثمَّ فرقوا وتتنزَّ بين العيدين . ورُتب العنصرة كلُّها خطيرة مهيبة في الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة . وكان يسبقهُ بيرامون اعداديّ يوم السبت يقضونهُ بالصوم وقد بقي الصوم الى يومنا في الكنيسة اللاتينيَّة وحدها الَّا ان الكنيسة اليونانيَّة والارمنيَّة تنقطعان عن اكل اللحم يومي الاربعاء والجمعة . وكانوا يصرفون ليلة الاحد في الكنيسة في الصلاة واستماع فصول العهد القديم وكتاب الاعمال المشيرة الى حلول الروح القدس . وكانت رتبة العماد تقام خصوصًا في تلك الليلة فيباركون جرن العماد ويصلُّون على طالبي التنصُّر ثمَّ يصبغونهم بماء المعموديَّة ويلبسونهم الملابس البيض يحفظونها ثمانية ايام دلالة على طهارة قلوبهم . ولا يزال يُدعى عيد العنصرة في الانكليزيَّة باسم الاحد الابيض (Whitesunday) اشارةً الى تلك الرتبة . وحتى يومنا هذا تجري في كنائس الغرب بركة جرن العماد في سبت العنصرة . امَّا المعموديَّة فقد بطل منحها في ذلك اليوم منذ جرت عادة صبغ الاطفال بماء العماد خوفًا من ان يموتوا دون اقتبال هذا السرّ . امَّا الكبار الطالبون التنصُّر فيُعمَّدون في ايّ عيد كان وبالخصوص في سبت النور وفي هذا بيرامون العنصرة

ومن طقوس الكنيسة اللاتينيَّة تسابيحها للروح القدس في هذا اليوم سواء كان في القداس او في الصلاة الفرضيَّة . وهذه الصلاة تُتلى في فرض الساعة الثالثة اي ضُحى النهار لانَّ فيها حلَّ الروح القدس على التلاميذ (اعمال ٢ : ١٥) . وفي رحلة سلفيَّة ان

(١ اطلب كتاب دون كبرول في كنائس اورشليم (Don Cabrol: *Les Eglises de Jérusalem*, 122)

نصارى اورشليم كانوا بعد اتمَّها الفرائض الدينيَّة في كنيسة القيامة يخرجون بموكب عظيم الى جبل صهيون حيث كانت العليَّة التي فيها جرت معجزات الروح القدس . وكانت القديسة هيلانة اقامت هناك كنيسة فخمة ذكرها القديس كيرلّوس الاورشليمي في شروحه للعقائد النصرانيَّة (Migne, XXXIII,923) . وشهادتهُ من اقدم ما ورد عن هذه الكنيسة وقد دعاها « كنيسة الرسل التي تحفظ ذكر العليَّة ومقام حلول الروح القدس على التلاميذ » . ومن طقوس الكنيسة اللاتينيَّة ايضًا انَّها تفضّل هذا العيد لمنح سرّ التثبيت للاحداث وهو سرّ روح القدس كما لا يخفى

وللكنيسة اليونانيَّة ايضًا طقوس جليلة قد جمعتها في كتاب يُدعى البندقسطاريون اي رتب اسبوع الخمسين . وكان اليوم الاوَّل يزدحم فيه المؤمنون لاقامة الافراح العيديَّة . وفي كنيسة القسطنطينيَّة كان رونق العيد اعظم يحضره قيصر الروم مع الملكة وكلّ حاشيته وكان يمنح في ذلك اليوم قبلة السلام اعيان دولته وكذا كان فعل الملكة بالسيّدات الشريفات . وممَّا يختصّ بالكنيسة اليونانيَّة السجدة التي يتلون بها حلول الروح القدس ويكرّرونها مرارًا ويبتهلون بها الى الاقنوم الثالث طالبين منهُ الغفران عن الخطايا ومتوسلين اليه بان يفيض على الشعب المسيح سجال بركاته . وكانت هذه السجدة تُقام سابقًا في مساء الاحد ويجرونها اليوم بعد انتهاء القداس

وللكنيسة القبطيَّة طقوس شبيهة بالطقوس اليونانيَّة ومن خواصها انَّها تقدّس قداس غريغوريوس كما قال ابن سباع في كتاب الجوهرة النفيسة (ص١٦٨) وذكر ايضًا السجدة فقال:

«ثمَّ يجتمع جميع الشعب لصلاة عشيَّة في الساعة التاسعة من نهار عيد العنصرة في الكنيسة وكل واحد معهُ ما يقدر عليه من الشمع والبخور مساعدة لاسم الله المسيح المرفوع اليه هذا البخور - وهذه الصلوات لعدم وقوع الكنيسة في الاحتياج وتعطيل اقامة الشعائر الدينيَّة ولكي يبخّر بهِ تذكارًا على من سلف من الآباء والاقارب (١ والاحباء وتقسهُ لتصعد صلواتنا مع البخور الذي يشتمُّهُ الله رائحة طيب امامهُ»

ولهذه السجدة كتاب مخصوص قد أُوضح فيه ترتيب هذه الحفلة . وفي الكنائس السريانيَّة اي السريان والموارنة والكلدان تقام افراح كافراح الكنيسة اليونانيَّة والعيد

١) ذكر الموتى في الكنيسة اليونانيَّة يجري في اليوم السابق للعنصرة وهم يباركون قمحًا مسلوقًا وحلويات يدعونها نياحة ويوزّعونها على الفقراء والحضور

فيها كلها يدوم اسبوعاً وكان يبطاون فيهِ عن الاشغال الاثنين والثلثاء ثم اقتصروا على الاثنين وهو اليوم لا يُبطَّل الّا عند الملكيّين والموارنة

﴿ العادات المألوفة في العنصرة ﴾ للعنصرة عادات مألوفة بين النصارى تدلُّ كلُّها على سرورهم وابتهاجهم الروحي . فلذلك كانوا ينقطعون عن الملاهي العالميَّة كحضور الملاعب المرسحيَّة وافراح الاعراس . وكان ملوك النصارى يطلقون سراح بعض السجناء . وكانت الكنائس تزدان بالزهور ويُجعل على مداخلها الاغصان النضرة ولذلك كان يدعو نصارى اللان هذا العيد « العيد الاخضر » وكانوا ينثرون على رؤوس الشعب الورد ومنهُ دُعي هذا العيد « الفصح الوردي او احد الورد » . وكانوا يرمزون الى الروح القدس بحمام يطلقونهُ في الكنائس . او كانوا يوقدون النار في مِشَق وقطع من القطن فيطيرونها في الهواء تمثل الالسنة الناريَّة التي ظهرت على رؤوس التلاميذ . وكذلك كانوا يشعلون المشاعل في الليل بعد الصلاة عليها كشمعة الفصح . ومما اختصَّ بهِ اهل بلادنا الاراجيح (العنازيق) يتَّخذها الاحداث في العنصرة ولا نعلم لايّ سببٍ يتَّخذونها في هذا العيد دون غيرهِ

﴿ تعاليم هذا العيد ﴾ انَّ افراح هذا العيد ورتبهُ وشعائرهُ كلها تعود الى ذكر الروح القدس وتعريف اقنومهِ القدّوس واعمالهِ العجيبة في الرسل وفي نفوس المؤمنين ولذلك نروي هنا خلاصتها افادةً للقرَّاء

١ (اسماؤهُ) واوَّل ما يستفاد من تسابيح هذا العيد وفصول العهدين القديم والحديث التي تُقرأ فيهِ ما دُعي بهِ الروح القدس من الاسماء . وأشيَعُها « البارقليط » (يوحنَّا ١٤ : ١٦ و ٢٦) وهي لفظة يونانيَّة (παράκλητος) معناها الحامي والدافع وفي الاصطلاح الكنسيّ يراد بها المعزّي لانهُ أُرسل لتعزية التلاميذ بعد صعود المسيح الى السماء . وقد ظنَّ البعض انَّ معناها الشهير والممجَّد فاشتقُّوها غلطاً من (περικλειτός) . وقد دُعي ايضاً « باصبع الله » كما يُرى بالمقابلة بين متَّى (١٢ : ٢٨) ولوقا (١١ : ٢٠) . ومن اسمائهِ « موهبة الله » وردت مرارًا في العهد الجديد (يو ٤ : ١٠ واع ٣ : ٣٨) واثبتهُ الاباء كاوغسطينوس وتوما اللاهوتيّ . وكذلك دُعي بجود الله وروح الله . وانَّما اسمهُ الخاص بهِ « الروح القدس » لانهُ لمَّا ثبت انَّ اسم الاقنوم الاوَّل هو الآب لكونهِ يلد بطريقة العقل السامية منذ الابد مولودًا شبيهًا بهِ مساويًا لهُ في الجوهر وانَّ هذا المولود

الاقنوم يستحقُّ بكل صواب ان يُدعى ابنهُ لانــهُ صورتهُ الكاملة · لم يبق للمحبَّة الجوهريَّة التي بين الاب والابن والثمرة هذه المحبَّة الجوهريَّة المنبثقة منهما بطريقــة المشيئة الَّا ان تُدعى باسم يدلُّ على اعظم كمالاتهِ تعالى اعني كونهُ روح القدس الاعظم المبدع لكافَّة الارواح المخلوقة وعلَّة كل قداسة

٢ (ذاتهُ) ويستفاد من هذا العيد ايضاً انَّ الروح القدس اقنوم قائم بذاتهِ متميّز عن الاب والابن وانهُ اله تامّ كالآب والابن · وهذه الحقيقة تلوح من نصوص الاسفار المقدَّسة أشار اليها العهد القديم غير مرَّة كما في سفر التكوين (١ : ٢) لمَّا ذكر روح الله وهو يرفّ على وجه المياه · وفيهِ عند ذكرهِ لخلقة آدم (١ : ٢٦ و٢ : ٢٢) وعند ظهورهِ لابراهيم الخليل على شبه ثلاثة اشخاص (١٨ : ٢—٣) وفي اشعيا النبي عند ايراده تسبحة الساروفيم (٦ : ٢) المعروفة بالتريساغيون وفي آيات عديــدة من المزامير وسفر الحكمة وغيرها · وهي في العهد الجديد حقائق اوضح من النهــار فان السيّد المسيح يصف في الانجيل الطاهر روح القدس وصفاً لا يبقي ريباً في انهُ ذات منفردة قائمــة بذاتها تعمــل اعمال الله · يريد ان يُعمَّد المتنصّرون باسم هذا الروح كما يعمَّدون باسم الاب والابن (متَّى ٢٨ : ١٩) ينسب لهذا الروح كمالات الله من علم (يوحنَّا ١٤ : ٢٦) وقدرة (لوقا ١ : ٣٥ واعمال ١ : ٨) وحكمة (متَّى ١٠ : ٢٠) · وكذلك رسل المسيح يعلّمون صريحاً بانَّ روح القدس احد الاقانيم الثلثة وانهُ إله · فانهم ينسبون اليهِ مغفرة الخطايا وتقديس النفوس واحياءها وانَّهُ يفحص كلّ شي حتى اعماق الله (١ كور ٢ : ١٠) وينسبون لهُ كلّ الاعمال الفائقة الطبيعة من نبوَّات وشفاء العاهات وشرح الاسرار (١ كور ١٢) لا بل يصرّحون بلاهوتهِ (اعمال ٥ : ٣—٤ ورسالة يوحنَّا الاولى ٥ : ٧) · وكل ذلك قد اثبتهُ الرسل في دستور الايمان ولم تزل الكنيسة منذ بدء النصرانيَّة تكرّرهُ في كلّ مجامعها لاسيَّما في المجمع المسكوني الثاني حيث رذلت بدعة مكدونيوس الذي نكر لاهوت الروح القدس

٣ (انبثاقهُ) ويُحصَّل ايضاً من حفلات هذا العيد ورُتبهِ انبثاق الروح القدس ليس فقط من الآب كما صرَّح بهِ الانجيل الطاهر (يوحنا ١٥ : ٢٢) لكن من الابن ايضاً · كما يُستدلّ عليهِ من كلّ آيات الكتاب المقدَّس · فانَّ الروح القدس كثيراً ما يُدعى في الاسفار الالهيَّة روح الابن (غلطية ٤ : ٦) وروح المسيح (رومية ٨ : ٩ رسالة

بطرس الاولى ١ : ١١) وروح يسوع المسيح (فلب ١ : ١٩) وروح يسوع (اع ١٦ : ٧) كما يُدعى روح الله (رومية ٨ : ٩) وروح الآب (١٠ : ٢٠) والحال لا احد ينكر ان الروح الله وروح الآب معناهما « الروح الذي من الله ومن الاب » (١ كور ٢ : ١٢) و« الـذي ينبثق من الاب » (يوحنا ١٥ : ٢٦) فلا بُدَّ اذن من القول بان روح الابن وروح يسوع يراد ايضاً بهما الروح الذي من الابن ومن يسوع والروح المنبثق من الابن ومن يسوع

وكذلك يقول المسيح انهُ يُرسل لتلاميذهِ الروح القدس وانَّ هذا الروح يأخذ مما لهُ ليعطيهُ الرُسل (يو ١٥ : ٢٦ و ١٦ : ١٣—١٥) فلولا انَّ الروح القدس منبثق من الابن كما هو منبثق من الآب لما صحَّ هذا القول لانَّ الارسال يدلُّ على علاقة بين المُرسِل والمُرسَل وبين الذي يعطي والذي يأخذ فان لم ينبثق الروح القدس من الابن لكان الابن اعظم من الروح القدس ووقع اختلاف في جوهر الثالوث وهو كفرٌ محض

وزد على ذلك انَّ الآباء قد وضعوا هذا المبدأ في تعريف الثالوث الاقدس « انَّ في الاقانيم كلَّ شيء واحد الَّا في موازاة نُسَبًا بعضها الى بعض فيكون كل ما للاب للابن ايضاً الَّا الابوَّة وكلُّ ما للابن للآب الَّا الابوَّة. والحال انَّ نسبة الآب الى الروح هي ان يبثقهُ فلا بُدَّ اذن للابن ان يبثق الروح القدس مع الآب كمبدأ واحد. ولولا ذلك لما امتاز الاقنوم الثالث عن الثاني لانهُ لا يوجد بينهما نسبة الى بعضهما غير نسبة الباثق والمبثوق

وهذه التعاليم تجدها في الآباء وان اختلف الآباء اليونان في طريقة التعبير عن هذا الانبثاق فانَّهم يقولون في الغالب انَّ الروح ينبثق من الآب بواسطة الابن يريدون انَّ الآب والابن يبثقان الروح كمبدأ واحد لا كمبدأين مختلفين وهو نفس تعليم آباء الكنيسة اللاتينيَّة

ومن غريب الامور انَّ اوَّل مجمع صرَّح بانبثاق الروح القدس من الآب والابن انَّما كان مجمعاً شرقيًّا وهو مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ للمسيح وفيه يقول الآباء « انَّا نؤمن بالروح الحيّ القدوس والبارقليط الحيّ الذي هو من الاب والابن »

٤ (مواهبهُ) ومن شعائر هذا العيد المواهب التي تُنسب للروح القدس والتي افاضها على الرُسل فمن هذه المواهب ما كان ظاهراً للعيان كالنطق بالالسنة المختلفة وروح النبوَّة وشرح الاسفار المقدَّسة وشفاء العاهات وذلك كان وقتيًّا منحهُ الروح

القدس لبنيان الكنيسة وجذب الشعوب الى الايمان ولم يمنحهُ بعد ذلك الّا عند الحاجة. ومنها ما كان خفيًا وهي الهبات السبع اعني الحكمة والفهم والمشورة والقوَّة والعلم والتقوى وخوف الله . وهذه الهبات يخوّلها الروح القدس المسيحيين بنوع خاصّ في سر التثبيت مع الاثمار المختصَّة بهِ التي ذكرها الرسول حيث قال (غلاطية ٥ : ٢٢) : «واما ثمار الروح فهي المحبَّة والفرح والسلام والاناة واللطف والصلاح والايمان والوداعة والعفاف». فلنطلبنَّ اذن من الروح الخالق في عيدهِ المبارك ان يجدّد في قلوب ذويهِ هذه المواهب ويغذيها بثمارهِ الفائقة الطبيعة لندرك بهِ الصالحات ونبتهج بتعزيتهِ الى ابد الآباد وهي الصلاة التي توجّهها الكنيسة الى الروح الاقدس وبها نختم كلامنا

مطبوعات شرقية جديدة

Dr K. FLORENZ : Geschichte der japanischen Litteratur. I Halbband, Leipzig, Amelangs. 1904, 8°, X-254

تاريخ الآداب اليابانيَّة

كاد اسم اليابان [illegible] عندنا مجهولًا قبل ربع قرن بل كانت اوربَّة نفسها لا تعير تلك الأمة العظيمة [illegible] الى ان توّجها الظفر آخرًا باكليل من العزّ استجلب اليها الابصار فصار الكتبة لا يدعون شيئًا من امورها الّا وصفوهُ وصفًا مدقّقًا كتاريخها وصنائعها وتجارتها . وها ءنذا باحد علماء الالمان الدكتور فلورنس معلّم اللغة الالمانيَّة في توكيو قد سطَّر في لغتهِ تاريخ الآداب اليابانيَّة ونشرها في مجموع تواريخ آداب الشرق التي صدر منها عدَّة مصنَّفات جليلة كتاريخ آداب الفرس للدكتور هُرْن وتاريخ الآداب العربيَّة للدكتور بروكلمان . وهذا التأليف الجديد حريٌّ ايضًا بالنظر وهو القسم الاوَّل منهُ بحث فيهِ المؤلف عن آداب اليابان منذ اقدم آثارها اعني منذ ١٢ جيلًا على الاقلّ الى القرون الوسطى . واقدم ما لدينا من تلك الآثار اغانيّ شعريَّة وابيات متقطّعة تكثر فيها انواع البديع ثمَّ تفنَّن الكتبة وتوسَّعوا في ضروب الشعر حتى بلغوهُ اوج عزهِ في اواسط القرن الثامن وللشعراء اليابانيين في ذلك العهد نحو ٤٥٠٠ قصيدة مقسَّمة الى عشرين كتابًا . اما النثر فاوَّل ما كُتب بهِ الكتب الدينيَّة وشروحها . ثمَّ صُنّفت كتب عديدة في كلّ المواضيع مباشرةً بالروايات والقصص ثمَّ كتبوا التواريخ

في القرن الثاني عشر وكان لليابانيين جوائد سيّارة · واشتهر من النساء كثيرٌ من الكاتبات في القرن العاشر · ومما شاع ايضاً عند اليابانيين فنّ التمثيل وقد حضرتُ في باريس روايةً شخّصوها بانفسهم استحسن الحضّار القاء المشخصين وايماءهم وطربوا لغناهم ·

وهذا التأليف الذي همّنا بوصفه قد جمع لشتات تاريخ الآداب اليابانيّة وحوى قطعاً منها نقلها صاحبهُ الى الالمانيّة واعلم بذلك جليل قدرها · ومما كنّا نرغبهُ ان يقدّم على كتابهِ مقدّمةً في وصف اليابان جغرافيًّا وتاريخيًّا مع تعريف اخلاق اليابانيين فانّ ذلك احسن تمهيد لتعريف آداب امّتهم . . .

الاب موريس جلابرت

شذرات

حلّ المشكل الرياضي لاحد تلامذة كليّتنا :

فلندعونَّ ك المدينة التي يخرج منها القطار و ل المدينة التي يسير اليها و م مقام الصديق ذي المسدَّس فتكون اقرب مسافة بين م والخط كل هي الخطّ العمودي م ا ونجمل المسافة م ب



المسافة التي يقطعها الصوت · ونسمّي المجهول اي المسافة بين ا و ب مساوية د اذا اتخذنا م كمركز ورسمنا دائرة سهمها م ا عرفنا ان المماسّة اب هي متدلة نسبيّة بين القاطعة الكاملة م ب + م ا وقسمها الخارج الذي يساوي ١,٩٥٦١١٤٤ متر . فمن ذلك تحصل المعادلة د٢ = (٢٥,٦د – ١,٩٥٦١١٤٤) ١,٩٥٦١١٤٤ فنعرف قيمة د · ثمّ يُعرف ان م ب = ١٢,٨د و م ا = م ب – ١,٩٥٦١١٤٤ وبينما يجري الصوت من م الى ب يكون القطار قطع المسافة اب واذ نعلم سرعة جري الصوت تسهل معرفة سرعة القطار في الثانية وبذلك نعرف ايضاً المسافة بين ك ا ثمّ المسافة بين كل واخيراً ساعة وصول القطار الى ل · واذا اجرينا هذه العمليات وجدنا :
١ً انّ المسافة بين المدينتين ٣٩٢٨٠٢ متراً · ٢ً ان المسافة بين صاحب البندقيّة وخطّ القطار ٦٢٨,٠٤٤ متراً · ٣ً ان وصول القطار الى مدينة ل الساعة ٤ وفي الدقيقة ٢١ والثانية ٥١

مكتوب لنترلوس ما كنّا لنظن انّ احداً من العلماء الاوربيين يُعير بالاً لهذا الاثر المزعوم الذي بيّنّا زورهُ في عدد سابق · وقد تعجّبنا انّ مجلّة الدنيا روت هذا الخبر واستعظمتهُ لكنّها استدركت الامر وفي عددها الصادر في ١١ أيّار تولّت تزييفهُ كما فعلنا

قلب رعمسيس كتب آخرًا للبشير ما نصّهُ: معروض الآن في دار المتحف المصري جثة رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوتريس اعظم فراعنة مصر الذي توفي منذ ٣١٦٤ سنة فتوجهتُ ونظرت هذه الجثة المحنطة وقد بحث الاطباء عن امعاء هذا الرجل العظيم فوجدوها مع المعدة والكبد موضوعة في ثلاث قوارير محفوظة فيها بالقلى والطيوب وملفوفة باللفائف ووجدوا القلب في القارورة الرابعة وقد صار صلبًا جدًا فاخذوا منهُ قطعة وفحصوها بالمكرسكوب فاذا عضلاتهُ متقاطعة كالياف عضلات القلب

الفحم الحجري في فرنسة انَّ مناجم الفحم في فرنسة ولا سيَّما في شمالها واسعة كثيرة الارباح ففي السنة ١٩٠٤ كان مجموع ما استُخرج منهُ ٣٤,١٦٨,٠٠٠ طنّ ومع عظم هذا القدار لا يفي بحاجة فرنسة فانَّها تنفق منهُ في سككها الحديديَّة ومعاملها وسفنها نحو ٤٨,٠٠٠,٠٠٠ طن. وفرنسة هي الخامسة بين الدُّول في كميَّة فحمها فانَّ المقام الاوَّل للولايات المتحدة التي استخرجت منهُ في السنة ١٩٠٤ نحو ٣٢٤,١٣٣,٠٠٠ طن يليها بريطانية العظمى ٢٣٦,١٤٧,٠٠٠ ثم المانية ١٦٩,٤٤٩,٠٠٠ ثم النمسة ٤٠,٢٥٤,٠٠٠

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء صيداء من هو المقوقس الذي ورد ذكرهُ مرارًا في التواريخ المصريَّة لمَّا فتح عمرو بن العاص الاسكندريَّة

المقوقس

ج قد مرَّ شرح ذلك في المشرق في حاشية الصفحة ١٤٦ من السنة الخامسة

س وسئلنا عن اعزّ طوابع البريد واغلاها ثمنًا

طوابع البريد العزيزة

ج اعزّ طوابع البريد على ما يقال طابعان لجزيرة موريس طُبعا سنة ١٨٤٧ احدهما ذو البنس وهو يساوي الآن ٢٠٠٠٠ فرنك والآخر ذو البنسَين وقيمتهُ ١٨٠٠٠ ف . ومنها طابع رومانية الوردي الاسود الذي طُبع عليهِ عدد ٨١ سنة ١٨٥٨ وهو يساوي ١٠٠٠٠ ف. ثم طابع السنتيمين لجزائر هواواي سنة ١٨٥١ قيمتهُ ٨,٠٠٠

ل. ش.